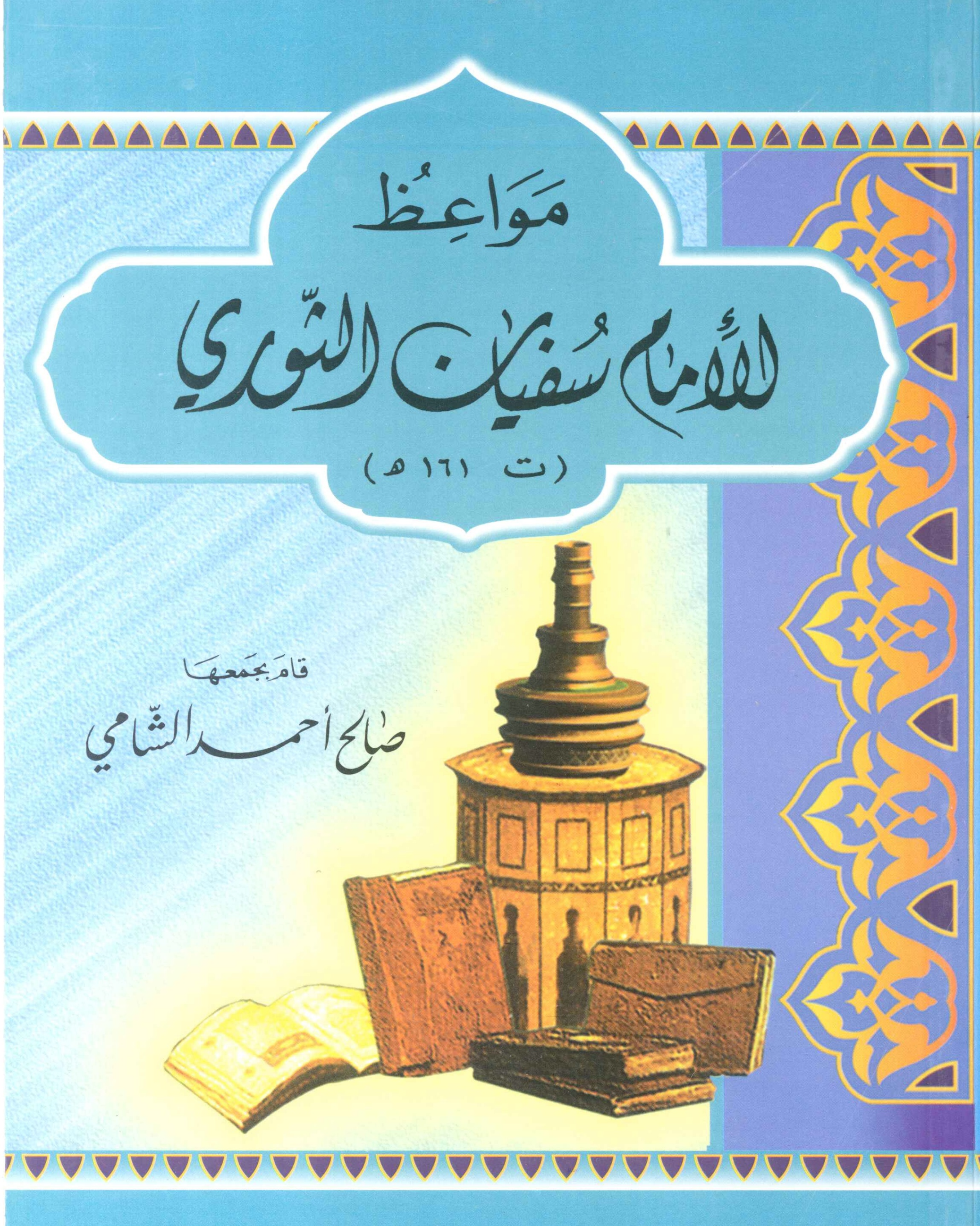
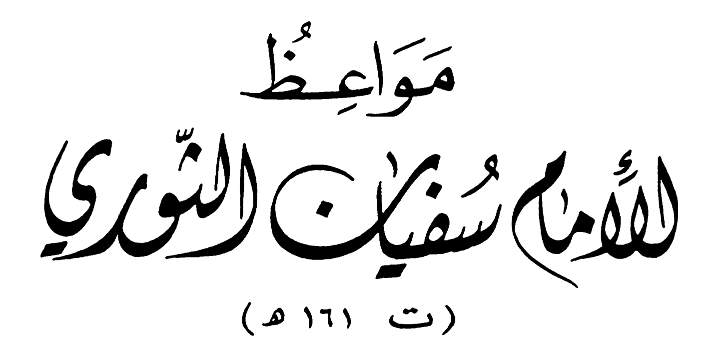


المكتب الإسلامي

معالم في التربية والدعوة



مواعظ للإمام سفيان الثوري

(ت ١٦١ هـ)

قام بجمعها

صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص. ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠

دمشق : ص. ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧

عمّان : ص. ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

كان العلماء - وما زالوا - ورثة الأنبياء - فهم الامتداد الحقيقي لمعنى النبوة في الأمة، إذ هم حملة تراثها علماً، وهم المبينون تطبيقه بسلوكهم عملاً. فهم العامل الفاعل في حياة الأمة.

وهم الدعاة إلى الله، وهم القائمون بمهمة التربية لعباده.

فهم الدعاة الذين يبينون أحكام الله، وأوامره ونواهيه..

وهم المربون الذين يراقبون صحة التطبيق لهذه الأحكام، فيأمرون وينهون ويصححون المسار.

ومن مضى من هؤلاء العلماء الأعلام، بقيت آثاره وخبراته وتجاربه - في هذا الميدان - مدونة ومحفوظة بمواعظه وأقواله، مبينة بسيرته.

وفي هذه السلسلة **«معالم في التربية والدعوة»** أسعى لانتقاء مجموعة من مواعظ كل إمام، أضعها قريبة من الأيدي، سهلة المتناول، إذ فيها الدواء لكثير من أدوائنا، فرب كلمة منها وقعت على علّة مستعصية فكانت سبب البرء، فكان في ذلك الخير كله.

هذا، ونرجو الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، إنه نعم المسؤول، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ربيع الأول ١٤١٨هـ

تموز ١٩٩٧م

كتبه

صالح أحمد الشّامي

سُفيان الثّوري

هو أبو عبد الله، سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري.

وقد شهد جده مسروق الجمل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وعلى هذا فهو من التابعين.

ووالده سعيد بن مسروق، هو المحدث الصادق، وكان من أصحاب الشعبي وخيثمة بن عبد الرحمن، وهو من ثقات الكوفيين، وعداده في صغار التابعين.

وأخوه عمر بن سعيد بن مسروق، من رواة الحديث.

وأخوه الآخر، مبارك بن سعيد، أبو عبد الرحمن الكوفي الضرير، نزيل بغداد، وهو أيضاً من رواة الحديث.

ولد سفيان سنة سبع وتسعين للهجرة، في الكوفة، ونشأ بها، وقد اعتنى به والده، ووجه إلى العلم وهو حدث.

وقد نبغ وذاع صيته في وقت مبكر، وما ذلك إلا لفرط ذكائه وقوة حافظته.

قال أبو المثنى: سمعتهم بمرو يقولون: جاء الثوري، قد جاء الثوري، فخرجت أنظر إليه، فإذا هو غلام قد بقل وجهه[1].

وقد قال عن نفسه: ما استودعت قلبي شيئاً قط فخانني.

ولهذا ومع تقدم سنّه، تبوّأ المكانة العالية.

فقد قال شعبة وابن عيينة، وأبو عاصم، ويحيى بن معين وغيرهم: سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث.

والأقوال في الثناء عليه كثيرة يصعب إحصاؤها.

قال الإمام أحمد بن حنبل: أتدري من الإمام؟ الإمام سفيان الثوري لا يتقدمه أحد في قلبي.

وقال: قال لي ابن عيينة: لن ترى بعينيك مثل سفيان الثوري حتى تموت.

---

(١) بقل وجهه: أي خرج شعر لحيته.

وهذه الشهادات ـ وغيرها كثير ـ من هؤلاء الأئمة الأعلام، كافية في إلقاء الضوء على مكانة الرجل علماً وفقهاً وأمانة..

والعلم في الإسلام لا ينفصل عن السلوك، ولا يكون العالم عالماً بحق، حتى يكون عاملاً بعلمه، وهذا ما كان عليه الإمام الثوري.

قال مؤمل: ما رأيت عالماً يعمل بعلمه إلا سفيان[1].

وهذا القول لا تراد حقيقته، فالعلماء العاملون كثير والحمد لله، وإنما المراد شدة تمسكه في تطبيق علمه.

ويوضح لنا هذا: قول الثوري عن نفسه:

ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث قط إلا عملت به ولو مرة[2].

وفي هذا ما فيه من شدة حرصه على أن يكون العلم للعمل، وهو المنهج الذي دعا إليه وأكد على ضرورة التزامه، طوال حياته.

---

(١) حلية الأولياء ٧/١٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٢.

وهذا الالتزام في التطبيق جعل من الثوري إماماً في جوانب عدة.

قال الإمام الذهبي:

قد كان سفيان رأساً في الزهد، والتأله، والخوف، رأساً في الحفظ، رأساً في معرفة الآثار، رأساً في الفقه، لا يخاف في الله لومة لائم، من أئمة الدين[1].

موقفه من السلطة:

وفي هذه الترجمة الموجزة، لا بد من الحديث عن موقف الثوري من السلطة، فإن ذلك يشغل حيزاً من أخباره، وهذا الموقف هو الذي دفعه إلى مغادرة الكوفة فاراً مختفياً.

ولد سفيان بعد أن تولى الخلافة سليمان بن عبد الملك بسنة واحدة، وأدرك بعده سبعة من خلفاء بني أمية حيث دب الضعف في دولتهم، ثم سقطت سنة ١٣٢هـ.

كما شهد استيلاءَ بني العباس على الخلافة،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤١.

وأدرك تولي ثلاثة منهم السلطة وهم: السفاح، والمنصور، والمهدي، وقد توفي الثوري خلال عهد الأخير منهم.

وما ذكر من أخبار عن الثوري، فهي ترتبط بالمنصور والمهدي، وليس بين أيدينا شيء عن أخباره أيام السفاح.

وسفيان لا يعادي السلطة لميوله السياسية في التشيع لجهة ما، إنما كان موقفه ينبثق من رفضه للظلم وبغضه للظالمين.

وقد عبر عن ذلك بقوله:

إني لأدعو للسلطان بالصلاح، ولكن لا أستطيع إلا أن أذكر ما فيهم[١].

وقال:

والله ما يمنعني من إتيانهم أني لا أرى لهم طاعة، ولكني رجل أحب الطعام الطيب، فأخاف أن يفسدوني[٢].

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٩٧.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٤٥.

والطعام الطيب هنا: الطعام الحلال الذي لا شبهة فيه.

فهو يخاف أن يطمئن إليهم، فيميلوا عليه بدنياهم، فيصبح طعامه مخلوطاً بالشبه غير طيب. وقد بيّن ذلك بقوله:

ليس أخاف ضربهم، ولكني أخاف أن يميلوا علي بدنياهم، ثم لا أرى سيئتهم سيئة[1].

وإذن فمشكلته مع السلطة هي نقده لما يراه من انحراف، وأما النقد الذي يراه واجباً عليه، فهو فرع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهكذا استمرت مشكلته مع أبي جعفر المنصور طول مدة خلافته، التي استمرت واحداً وعشرين عاماً.

ونذكر بعض المواقف التي كانت بين الثوري وبين أبي جعفر.

لقي أبو جعفر سفيان الثوري في الطواف، وسفيان لا يعرفه، فضرب بيده على عاتقه وقال: أتعرفني؟

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٤٧.

قال: لا، ولكنك قبضت علي قبضة جبَّار.

قال: عظني يا أبا عبد الله.

قال: وما عملت فيما علمت، فأعظك فيما جهلت؟

قال: فما يمنعك أن تأتينا؟

قال: إن الله نهى عنكم قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[1].

فالتفت أبو جعفر إلى أصحابه وقال: ألقينا الحبَّ إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان، فإنه أعيانا فراراً[2].

وفي موقف آخر ينقله لنا عبد الرزاق قال:

أخذ أبو جعفر بتلباب الثوري وحوَّل وجهه إلى الكعبة فقال:

بربِّ هذه البنية، أيَّ رجل رأيتني؟

قال: برب هذه البنية بئس الرجل رأيتك. وأطلق يده[3].

---

(١) سورة هود، الآية (١١٣).

(٢) العقد الفريد ٣/ ١٦٥.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٤٢.

لم يكنِ من السهل على مثل أبي جعفر أن يسمع مثل هذا النقد اللاذع، ولكن ماذا عسى أن يصنع والأيام أيام حج والبلد البلد الحرام، ثم إن الثوري ليس زعيم ثورة، وليس له جماعة يقودها ضد أبي جعفر.

ولكن هذا لا يعني أن أبا جعفر كان متسامحاً، فليس ذلك من طبعه، ولكنه كظمها إلى حين.

ويبدو أن أبا جعفر كان حريصاً على استمالته وترغيبه بالقرب منه أو إشعاره بالرهبة والخوف، إن لم ينفع الترغيب.

قال سفيان: أدخلت على أبي جعفر بمنى، فقلت له:

اتق الله فإنما أنزلت هذه المنزلة، وصرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعاً. حج عمر بن الخطاب فما أنفق إلا خمسة عشر ديناراً، وكان ينزل تحت الشجر.

فقال لي: أتريد أن أكون مثلك؟

قلت: لا تكون مثلي، ولكن كن دون ما أنت فيه، وفوق ما أنا فيه.

فقال لي: أخرج[1].

وظل سفيان قائماً بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك نهي الناس عن إسداء أي مساعدة أو خدمة لظالم، ولو كان ذلك إرشاده إلى الطريق.

وقد أزعج هذا المسلك أبا جعفر وولاته، الأمر الذي جعل سفيان لا يستطيع الاستقرار، بل وضايقه ذلك حتى قال:

ما يريد مني أبو جعفر، فوالله لئن قمت بين يديه لأقولنَّ له: قم من مقامك فغيرك أولى به منك[2].

إن هذا الموقف الصلب من سفيان، واستمرار الأمر على ذلك جعل أبا جعفر يخرج عن حلمه، وما كان حليماً، ويأمر بصلب سفيان.

ففي السنة التي توفي فيها أبو جعفر، عزم على أداء نسك الحج، ويبدو أن مخبريه أعلموه أن سفيان في مكة.

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٤٣ وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٢ وزاد في رواية: فقال وزيره: جاءتنا كتبك فأنفذتها، فقلت: ما كتبت إليك شيئاً قط. سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٧.

(٢) الحلية ٧/ ٤٢.

فبعث أبو جعفر الخشابين حين خرج إلى مكة، وقال: إن رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه.

وجاء النجارون، فنصبوا الخشب، ونودي سفيان، وإذا رأسه في حجر فضيل بن عياض، ورجلاه في حجر ابن عيينة.

فقالوا: يا أبا عبد الله، اتق الله ولا تشمت بنا الأعداء.

فتقدم سفيان إلى الأستار[1]، ثم دخله، ثم أخذه وقال: برئت منه إن دخلها أبو جعفر.

فمات أبو جعفر قبل أن يدخل مكة. فأخبر بذلك سفيان فلم يقل شيئاً[2].

قال الذهبي: هذه كرامة[3].

وهكذا انتهت حياة أبي جعفر قبل أن ينفذ أمره، وكان تقدير الله أسبق من تقديره.

---

(١) الأستار: أستار الكعبة، فعل ذلك فعل العائذ بالله وببيته العتيق. ويبدو أنه كان له دعاء في هذا الموطن، ومنه البراءة من أبي جعفر الذي أهدر دمه.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٤١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥١.

وعاد سفيان إلى الكوفة.

وقد تولى الخلافة بعد أبي جعفر ابنه محمد المهدي سنة ١٥٨هـ.

ولعل المهدي أحب أن يسلك طريقاً أخرى يطوع فيها سفيان، ويجعله في عداد حاشيته.

قال عطاء بن مسلم: لما استخلف المهدي بعث إلى سفيان، فلما دخل خلع خاتمه فرمى به إليه، وقال:

يا أبا عبد الله، هذا خاتمي، فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة.

فأخذ الخاتم بيده وقال:

تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين؟

قال عبيد: قلت لعطاء: يا أبا مخلد، قال له: يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم.

قال ـ سفيان ـ: أتكلم على أني آمن؟

قال: نعم.

قال: لا تبعث إليَّ حتى آتيك، ولا تعطني شيئاً حتى أسألك.

قال: فغضب من ذلك، وهمَّ به.

فقال له كاتبه: أليس قد أمنته يا أمير المؤمنين؟

قال: بلى.

فلما خرج حفَّ به أصحابه فقالوا: ما منعك يا أبا عبد الله، وقد أمرك أن تعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة؟

فاستصغر عقولهم، وخرج هارباً إلى البصرة[1].

لم يكن سفيان ذلك الرجل الذي ينخدع بمثل هذه الحيلة. وقد فطن لما أراده المهدي. فاستنقذ نفسه بالأمان الذي طلبه ثم خرج هارباً.

وعاش في البصرة متخفياً. وكان لا بد له من عمل يكسب منه عيشه.

قال عبد الرحمن بن مهدي:

قدم سفيان الثوري البصرة والسلطان يطلبه، فصار في بعض البساتين فأجر نفسه على أن يحفظ ثمارها.

فمرَّ به بعض العشارين فقال له: من أنت يا شيخ؟

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٢.

قال: من أهل الكوفة.

قال: أخبرني أرطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة؟

قال: أما رطب البصرة فلم أذقه، ولكن رطب السابرية بالكوفة حلو.

فقال: ما أكذبك من شيخ، الكلاب، والبر والفاجر يأكلون الرطب الساعة، وأنت تزعم أنك لم تذقه؟

فرجع إلى العامل فأخبره بما قال ليعجبه.

فقال: ثكلتك أمك، أدركه، فإن كنت صادقاً، فإنه سفيان الثوري، فخذه لتتقرب به إلى أمير المؤمنين المهدي.

فرجع في طلبه فما قدر عليه[1].

ولا تبين الروايات إلى أين اتجه بعد خروجه من البصرة.

ولعله ذهب إلى اليمن أولاً، ومنها إلى مكة، كما في الروايات التالية.

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ١٣.

قال سفيان:

طُلِبْتُ في أيام المهدي فهربت، فأتيت اليمن، فكنت أنزل في حي حي، وآوي إلى مسجدهم، فسرق متاع في ذلك الحي، فاتهموني، فأتوا بي معن بن زائدة - وكان قد كتب إليه في طلبي - فقيل له: إن هذا قد سرق منا.

فقال: لِمَ سرقت متاعهم.

فقلت: ما سرقت شيئاً.

فقال لهم: تنحوا لأسأله.

ثم أقبل عليَّ فقال: ما اسمك؟

قلت: عبد الله بن عبد الرحمن.

قال: يا عبد الله بن عبد الرحمن، نشدتك بالله، لما نسبت لي نسبك؟

قلت: أنا سفيان بن سعيد بن مسروق.

قال: الثوري؟

قلت: الثوري.

قال: أنت بغية أمير المؤمنين؟

قلت: أجل.

فأطرق ساعة، ثم قال: ما شئت فأقم، وارحل متى شئت، فوالله لو كنت تحت قدمي ما رفعتها[1].

قال عبد الله بن الفرج ـ مولى معن بن زائدة ـ: لقد أمنه معن وأمر له بألف دينار فأبى أن يقبلها. فلما كان في أوان الحج خرج[2].

وهكذا أدى مناسك الحج.. ويظهر أنه استقر في مكة لفترة من الزمن، حتى علمت أخته بمكانه كما في الخبر التالي:

قال أبو شهاب الحناط: بعثت أخت سفيان بجراب معي إلى سفيان ـ وهو بمكة ـ فيه كعك وخشكنان[3]، فقدمت فسألت عنه، فقيل لي ربما قعد عند الكعبة.. فأتيته[4]..

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٤.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٤٧.

(٣) هو دقيق الحنطة إذا عجن بشيرج وبسط وملئ بالسكر والفستق واللوز.

(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٥.

على أن المهدي كان يتتبع أخباره، فأرسل إلى محمد بن إبراهيم ـ وهو على مكة ـ في طلبه.

فأعلم محمدٌ سفيانَ بذلك وقال له: إن كنت تريد إتيان القوم فاظهر حتى أبعث بك إليهم، وإلا فتوارَ.

فتوارى سفيان، وطلبه محمد، وأمر منادياً فنادى بمكة: من جاء بسفيان فله كذا وكذا.

فلم يزل متوارياً بمكة، لا يظهر إلا لأهل العلم ومن لا يخافه[1].

ويبدو أن الطلب اشتد فيما بعد، الأمر الذي دعاه إلى مغادرة مكة.

قال ابن سعد:

فلما خاف من الطلب بمكة، خرج إلى البصرة، ونزل قرب منزل يحيى بن سعيد، ثم حوله إلى جواره، وفتح بينه وبينه باباً. فكان يأتيه بمحدثي أهل البصرة يسلمون عليه، ويسمعون منه.

أتاه جرير بن حازم، ومبارك بن فضالة، وحماد بن سلمة، ومرحوم العطار، وحماد بن زيد..

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٤.

ولما عرف سفيان أنه اشتهر مكانه ومقامه قال ليحيى: حولني، فحوّله إلى منزل الهيثم بن منصور فلم يزل فيه.

فكلّمه حماد بن زيد في تنحّيه عن السلطان، وقال: هذا فعل أهل البدع.. فأجمع سفيان وحماد على أن يقدما بغداد.

وكتب سفيان إلى المهدي وإلى يعقوب بن داود الوزير..[1].

قال عصام بن يزيد خير: وجّهني سفيان وكتب معي إلى المهدي، وإلى وزيره أبي عبد الله يعقوب بن داود. وأدخلت عليه، فقال: لو جاءنا أبو عبد الله لوضعنا أيدينا في يده، وارتدينا برداء، واتزرنا بآخر وخرجنا إلى السوق، فأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، فإذا توارى عنا مثل أبي عبد الله، لقد جاء قراؤكم الذين هم قراؤكم، فأمروني ونهوني ووعظوني، وبكوا - والله - لي، وتباكيت لهم، ثم لم يفجأني من أحدهم إلا أن أخرج من كمه رقعة: أن افعل بي كذا، وافعل بي كذا، ففعلت ذلك بهم ومقتهم عليه. قال

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٥.

عصام: فطلبت منه أن يعطيه الأمان فأمنه..[1].

قال إبراهيم الفراء: كتب سفيان الثوري إلى المهدي: طردتني وشردتني وخوفتني، والله بيني وبينك، وأرجو أن يخير الله لي قبل رجوع الكتاب. قال: فرجع الكتاب وقد مات[2].

وفاته:

قال عبد الرحمن بن مهدي: مات سفيان الثوري عندي، فلما اشتد به جعل يبكي، فقال له رجل: يا أبا عبد الله أراك كثير الذنوب؟ فرفع شيئاً من الأرض فقال: والله لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت[3].

قال عيسى بن يونس: مات سفيان الثوري مستخفياً، قد جعل قميصه خريطة قد ملأها كتباً[4].

قال عبد الرحمن بن مهدي: لما مات سفيان

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٤٣.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٤٥.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ١٢.

(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣١٤.

أردنا أن ندفنه ليلاً من أجل السلطان فأخرجناه فلم ننكر الليل من النهار[١].

ولما احتضر قال: ما أشد الغربة، انظر هاهنا أحد من أهل بلادي[٢].

قال ضمرة: نظر حماد بن زيد إلى سفيان الثوري مسجى بثوب على السرير فقال:

يا سفيان، لست أغبطك اليوم بكثرة الحديث، إنما أغبطك بعمل صالح قدمت[٣].

قال أبو داود: مات سفيان بالبصرة فدفن ليلاً، ولم نشهد الصلاة عليه، وغدونا على قبره ومعنا جرير بن حازم وسلام بن مسكين فتقدم جرير وصلى على قبره ثم بكى وقال:

إذا بكيت على ميت لمكرمة

فابك الغداة على الثوري سفيانا[٤]

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٧٥.
(٢) تاريخ بغداد ٦/ ١٦٠.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٧١.
(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٢.

رحم الله الثوري فقد قدر الله له الموت غريباً ليزيد في حسناته ويرفع من درجاته.

مما قيل في سفيان

قال المثنى بن الصباح: الثوري عالم الأمة وعابدها.

وقال المحاسبي: الثوري عندي إمام الناس.

وقال زائدة: كان سفيان أفقه الناس.

وقال الأوزاعي: لو قيل لي اختر رجلاً يقوم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، لاخترت لهما الثوري.

قال ابن المبارك: تعجبني مجالس الثوري، كنت إذا شئت رأيته في الورع، وإذا شئت رأيته مصلياً، وإذا شئت رأيته غائصاً في الفقه..

وقال أحمد بن يونس: ما رأيت أحداً أعلم من سفيان، ولا أورع من سفيان، ولا أفقه من سفيان، ولا أزهد من سفيان.

قال سفيان بن عيينة: جاع سفيان الثوري جوعاً شديداً، مكث ثلاثة أيام لا يأكل شيئاً، فمر بدار فيها

عرس فدعته نفسه إلى أن يدخل فعصمه الله، ومضى إلى منزل ابنته فأتته بقرص فأكله وشرب.

قال علي بن ثابت: رأيت سفيان الثوري في طريق مكة، فقومت كل شيء عليه، حتى نعليه، درهماً وأربعة دوانق.

قال أبو نعيم، كان سفيان الثوري، إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياماً، فإذا سئل عن الشيء، قال: لا أدري، لا أدري[1].

قال ابن يمان: ما رأيت مثل سفيان، ولا أبصر سفيان مثله، أقبلت الدنيا عليه، فصرف وجهه عنها.

قال مزاحم بن زفر: صلى بنا سفيان الثوري المغرب، فقرأ حتى بلغ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بكى حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

قال أسامة: من كان يرى سفيان الثوري، يراه كأنه في سفينة يخاف الغرق، أكثر ما تسمعه يقول: يا رب، سلم سلم.

---

(١) هذا القول وما سبقه من الحلية ٦/٣٥٦ ـ ٣٩١.

قال إبراهيم بن سعد: كنت مع سفيان الثوري في المسجد الحرام، فكوم كومة من الحصا، فاتكأ عليه، ثم قال: يا إبراهيم، هذا خير من أسرتهم.

وقال شعيب بن حرب: ذكروا سفيان الثوري عند عاصم بن محمد، فذكروا مناقبه، حتى عدوا خمس عشرة منقبة، فقال: فرغتم؟ إني لأعرف فيه فضيلة أفضل من هذه كلها، سلامة صدره لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

قال أبو بكر الحنفي: العجب من أقوام يميلون بين مسعر وسفيان!! أرسل صاحب الشرطة إلى مسعر: إن لك في هذا المال شيئاً، فذهب ثلاثة فراسخ، حتى أخذها، وسفيان تعرض عليه الدنيا، فيفر منها.

قال علي بن فضيل: رأيت سفيان الثوري ساجداً حول البيت، فطفت سبعة أسابيع قبل أن يرفع رأسه.

قال ابن المبارك: أقعد إلى سفيان الثوري فيحدث، فأقول: ما بقي من علمه شيء إلا سمعته، ثم أقعد عنده مجلساً آخر فيحدث فأقول: ما سمعت من علمه شيئاً[1].

---

(١) هذا القول وما قبله عن حلية الأولياء ٧/١ ـ ٨٥.

محاور الوعظ والتربية عند سفيان

كان سفيان إماماً في الحديث، إماماً في الفقه، إماماً في الزهد، إماما في الورع. . وقد انصبت كل هذه الأمور من ميدان العلم إلى ميدان العمل فكان الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وكان الإمام الذي لا تأخذه في الله لومة لائم.

وإذا كان العالم هو الطبيب الذي يشخِّص أدواء المجتمع وأمراضه ليصف لها الدواء، فقد كان الثوري كذلك.

ولكل عالم زمنه وبيئته، ولذلك اختلفت اهتمامات العلماء، فكل منهم كان يقدم الأولى في نظره بحسب سلم أولوياته.

وتبرز في جملة اهتمامات الثوري ثلاثة أمور اشتد إلحاحه عليها وهي:

- اهتمامه بإصلاح العلماء وبيان صفات العالم الحق.

- اهتمامه بتصحيح معنى الزهد الذي بدأ زاوية الانحراف في زمنه.

- رفض الظلم والتنبيه عليه.

وهو ما سوف أتحدث عنه في جملة محاور الوعظ عند الثوري بشكل مختصر.

١ ـ العمل على التزام الكتاب والسنة:

وهذا الأمر من الأسس التي يلحُّ عليها كل عالم، فهو الميزان الذي يضبط الاستقامة، وقد رأينا في هذه المقدمة كيف أن المهدي حين عمل على استمالته إلى تلبية مطالبه. قال له ـ بعد أن طرح له خاتمه ـ: فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة.

ذلك يدل دلالة واضحة أن صوت الثوري كان مرتفعاً بالمطالبة بذلك.

ومن أقواله في هذا الصدد: لا يستقيم قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة.

ومن لوازم التزام السنة محاربة البدع. وهذا ما فعله الثوري حين بيّن أخطار البدع، وجعلها أكبر من

المعاصي وأشد سوءاً، فهو يرى أن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، إذ المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها[1].

وقال: من أصغى سمعه إلى صاحب بدعة فقد خرج من عصمة الله تعالى[2].

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يرى الإمام الثوري أن الأمر بالمعروف وسيلة من الوسائل الفاعلة في إصلاح المجتمع، وعلى كل فرد مسلم أن يؤدي دوره في هذا الميدان.

ويعد الرجل الذي لا يقوم به رجل سوء، فالإنسان الذي يثني عليه جميع جيرانه رجل سوء، لأنه لو أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر لم يكونوا مجمعين على الثناء عليه، وإنما حصل هذا لأنه سكت عنهم في كل أحوالهم من الحق والباطل فأثنوا عليه.

وقد كان هو مثالاً يحتذى في هذا الأمر.

قال شجاع بن الوليد: كنت أخرج مع سفيان

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٦.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٦.

الثوري، فما يكاد لسانه يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهباً وراجعاً[1].

وقال ابن أبي غنية: ما رأيت أحداً أصفق وجهاً في ذات الله من سفيان الثوري[2] والناس عنده سواء في هذا الأمر، الخليفة وبقية الناس.

فقد وعظ المنصور وهو في منى، في شأن بذخه ونفقات حجه التي فاقت حد التقدير، كما وعظه في أمر إهماله لأبناء المهاجرين والأنصار في إعطائهم حقوقهم.

وكان يجالسه رجل ضرير، فإذا كان شهر رمضان يخرج إلى السواد فيصلي بالناس، فيكسى ويعطى، فقال سفيان: إذا كان يوم القيامة أثيب أهل القرآن من قراءتهم، ويقال لمثل هذا: قد تعجلت ثوابك في الدنيا.

فقال: يا أبا عبد الله، تقول لي هذا وأنا جليسك؟

قال: أخاف أن يقال لي يوم القيامة، كان هذا

---

(١)(٢) حلية الأولياء ٧/ ١٣.

جليسك أفلا نصحته؟[1].

وقد جاءه عبد الصمد أمير الحج من قبل المنصور يسأله عن أعمال الحج، فنصحه بترك العمل للمنصور.

وهو ـ مع ذلك ـ يطلب الحكمة في القيام بهذا الأمر، فلكل موقف أسلوبه المناسب، ويتغير هذا الأسلوب تبعاً للزمان والمكان والأشخاص.

فليس كل رجل أهلاً لأن يأمر السلطان بالمعروف. فلا يأمره إلا رجل عالم بما يأمر، عالم بما ينهى، رفيق فيما يأمر، رفيق فيما ينهى، عدل فيما يأمر، عدل فيما ينهى[2].

ويقول سفيان عن نفسه: إني لأرى المنكر فلا أتكلم فأبول دماً[3].

وهكذا كان الأثر النفسي لديه كبيراً على جسمه.

وهذا ناشيء عن حالة عامة لديه، وهي أن

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ١٦.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ١٣.

حصول الهمّ لديه يوجد هذا الأمر، قال: إني لأهتم فأبول دماً[1].

وهكذا أضحى الجانب الفكري لدى الثوري ذا ارتباط عضوي مباشر.

٣ ـ العلم والعلماء:

أخذ هذا الجانب من مواعظ الثوري مساحة كبيرة، ذلك أن الإقبال على العلم كان كبيراً، وقد انضوى تحت مظلته نوعان من الناس:

قسم أراد بعلمه وجه الله تعالى.

وقسم أراد به الدنيا، وجعله وسيلة يكسب بها عيشه..

وكان على الثوري وأمثاله أن يفضحوا القسم الثاني ويبينوا صفاته حتى لا يغتر الناس بهم، فيكون ذلك سبباً في ضلالهم وانحرافهم.

ولهذا وجدنا الإمام الثوري يتناول هذه القضية من جوانب متعددة، يصعب إحصاؤها. وسنتوقف عند بعضها:

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٤.

● أما مكانة العلم، فهي في المقدمة بعد الفرائض، ولذا كان من رأيه أن على الرجل أن يكره ولده على التعلم لأنه مسؤول عنه.

● وغاية العلم العمل، فلا يطلب لمباهاة العلماء، ومماراة السفهاء، والأكل به عند الأغنياء، واستخدام الفقراء به..

وإنما يطلب العلم ليتقي الله به، ومن هنا كان فضله.

وإنما العلم خشية الله عز وجل..

وبتحديد معالم غاية العلم يسقط قناع المرتزقة في هذا الميدان.

● وعلى العالم أن يكون مستغنياً عن الناس، له من مصادر الدخل ما يغنيه عن الاحتياج إلى غيره، وبهذا وحده يمكن أن يؤثر فيهم.

فمن أقواله: يعجبني أن يكون صاحب الحديث مكفياً، فإن الآفات إليهم أسرع وألسنة الناس إليهم أسرع.

ويجلس الثوري في حلقة يوسف بن عبيد، فإذا فتيان كأن على رؤوسهم الطير فيقول لهم: ارفعوا

رؤوسكم.. واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس..

● والعلماء هم الأطباء، الذين يشخصون المرض ويصفون الدواء.

قال: العالم مثل الطبيب، لا يضع الدواء، إلا على موضع الداء.

والأمراض هنا: هي الأعمال السيئة. وكذلك الدراهم وحبها داء.

فالعالم المريض بهذه الأمراض لا يصلح لمداواة الناس، فإذا جذب الطبيب الداء إلى نفسه، فمتى يداوي غيره؟

● ويتحدث الثوري عن العلماء والقراء الذين جعلوا من علمهم سلعة، ويفضح أساليبهم ويبين زيف سلوكهم فيقول:

إذا رأيت القارئ يلوذ بباب السلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مرائي.

وقال: إن فجار القراء اتخذوا القرآن إلى الدنيا سلماً، قالوا: ندخل على الأمراء نفرج عن المكروب، ونتكلم في محبوس.

● ولا يفوته أن يبين المراحل التي ينبغي أن يمر بها المتعلم حتى يصبح عالماً.

فأول العلم: الصمت، والثاني: الاستماع له وحفظه، والثالث: العمل به، والرابع: نشره وتعليمه.

● ولا نهاية للعلم، فلا يزال المرء متعلماً. وهذا يقتضي منه التواضع.

● والعلم هو الآثار، ولكل رأيه إذا كان الأمر في مجال الرأي.

● وللشيطان نصيب في هذا العلم، ولولا ذلك ما ازدحم عليه الناس، وللحديث ولرواياته والإكثار منها فتنة، وهذه الفتنة لا تقل عن فتنة الذهب والفضة.

وبهذا الأسلوب ينفذ الثوري إلى مشكلة العلم، بل مشكلة المتعلمين، ويحذر من طلاب الدنيا.

بل إنه يخضع العالم الذي يتلقى عنه العلم إلى مقاييس الشرع. فيقول لطلابه: إذا رأيتموني قد تغيرت عن الحال الذي أنا عليه، فاعلموا أني قد بدَّلت.

٤ ـ محاربة الظلم:

جاءت الأديان ـ والإسلام بخاصة ـ لتحقيق العدل الذي قامت به السماوات والأرض، وإذا كان العلماء

ورثة الأنبياء، فعليهم أن يبيّنوا ذلك للناس.

وقد كان سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ واحداً من الأعلام الذين أولوا هذا الجانب حقه.

وقد لاقى من جرّاء مسلكه هذا العناء الكبير، فاضطر أن يختفي تارة، وينتقل من حي إلى حي، ومن بلد إلى بلد تارة أخرى، ثم في نهاية المطاف مات غريباً.

وقد كانت السلطة في نظره تمثل جانب الظلم الكبير، فهي التي تمارسه دون أي رقابة. ولا ننسَ هنا أن الثوري عاش سقوط الدولة الأموية وولادة الدولة العباسية، وقد أزهقت أنفس.. وهتكت حرمات في سبيل ذلك باسم الدين.

وهذا ما يفسر لنا موقفه الذي التزمه في هذا الأمر.

يقول: إياك والظلم، وأن تكون عوناً للظالم، وأن تصحبه أو تواكله، أو تبتسم في وجهه، أو تنال منه شيئاً، فتكون له عوناً، والعون شريك.

ويقول: واحذر هؤلاء الأمراء، وارغب إلى الله في حوائجك.

ويقول: النظر إلى وجه الظالم خطيئة، لا تنظروا

إلى الأئمة المضلين، إلا بإنكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم، ولا تنظروا إلى دورهم..

بل إنه رفض أن يستضيء بنار الشرطة في الطريق.

وذهب أحدهم يوقظ شرطياً للصلاة فقال: دعه، لا صلى الله عليه، فما استراح الناس حتى نام هذا.

وقال: لو خيّرت بين ذهاب بصري وبين أن أملأ بصري منهم لاخترت ذهاب بصري.

وقال: يمر بكم المبتلى الذي يؤجر على بلائه فتسألون الله العافية، ويمر بكم هؤلاء ـ الجند ـ فلا تسألون الله العافية.

ثم يخلص إلى أنه ليس للإنسان أفضل من أن لا يرى السلطان، ولا يراه السلطان وهو يقتفي أثر الحسن البصري ويكرر قوله بشأن الدعاء للظالم فيقول:

من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يُعصى الله تعالى.

٥ ـ الزهد والمال والعمل:

الزهد في اللغة: ترك الميل إلى الشيء.

وعرفه أهل التربية بأنه: بغض الدنيا والإعراض عنها.

وقد ظهر اتجاه تحت عنوان الزهد، باعثه الكسل والإخلاد إلى الراحة، وعدم العمل، والوصول إلى الدنيا من أقرب طريق، إذ كان أصحاب المال يغدقون على أصحاب هذا الاتجاه بحجة تفريغهم للعبادة، مع ما يصاحب ذلك من الشهرة والصيت..

ولذا كثرت أقوال الإمام الثوري في إيضاح هذا الموضوع.

فليس الفقر لازماً للزاهد، إذ يمكن للإنسان أن يكون زاهداً وأن يكون صاحب مال، إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر.

وليس الزهد بأكل الغليظ، ولكنه قصر الأمل.

والزهد زهدان: زهد فريضة، وزهد نافلة، فالفرض أن يدع الفخر والكبر والعلو والرياء والسمعة والتزين للناس. وزهد النافلة: وهو أن تدع ما أعطاك الله من الحلال، وأن يكون هذا الترك لله تعالى.

وهكذا يذهب الثوري بعيداً في التعريف بحقيقة الزهد. فهناك أمور يسعى الناس لتحصيلها كما يسعون لتحصيل المال وهي قضايا نفسية معنوية كالسمعة والفخر والكبر. فالزهد في هذه الأمور فرض مقدم

على الزهد في المال، الذي يأتي في باب الفضيلة.

ومن منطلق مفهومه في الفرض من الزهد يرى أن الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس، وعدم الاهتمام بهم والتظاهر لهم فلا يكون لهم في نفسه شيء عندما يقوم بالعمل، بل يكون عمله خالصاً لله، وأول خطوة في هذا الطريق هي زهدك في نفسك.

والزهد في المنزلة مقدم على الزهد بالدنيا.

وإذا كان الإنسان زاهداً وفقاً لهذه المفاهيم، فلا عليه أن لا يقوم الليل، بل يستطيع أن ينام وهو محصل للأجر والثواب. وهذا معنى قوله: ازهد في الدنيا ونم.

ولا تعارض إذن بين وجود المال في اليد، وكون الإنسان زاهداً، فالزهد معنى يقوم في النفس ينبثق عنه سلوك، والمال عرض في اليد يخضع لهذا السلوك.

يقول سفيان: لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها، أحب إليَّ من أن أحتاج إلى الناس.

وقال: كان المال فيما مضى يكره، فأما اليوم فهو ترس المؤمن.

فلا يكون الرجل زاهداً إذا احتاج إلى الناس، وإذن فأين الزهد الذي هو التخلي الطوعي عن الحلال، والقدرة على الترفع على ما في أيدي الناس.

وإذا كان الأمر كذلك فالزاهد إنسان عامل حتى يكفَّ نفسه عن الحاجة إلى الغير، وقد كثرت أقوال الثوري في الحث على العمل.

فهو يقول: عليك بعمل الأبطال والإنفاق على العيال.

ويقول: اعملوا ولا تكونوا عالة على الناس.

ويقول: يا أخي عليك بالكسب الطيب وما تكسب بيدك، وإياك وأوساخ الناس.

ويوجه إلى القصد بالمعيشة وعدم التشبه بالجبابرة في تبذيرهم وإسرافهم.

وإذا كان الثوري يدعو إلى العمل فهو يحذر من السؤال فيقول:

إن احتجت إلى شسع فلا تسأل، وإن احتجت إلى ملح فلا تسأل، واعلم أن الخبز الذي تأكله بملح عجن، وإن احتجت إلى ماء فاستعمل كفيك فإنه يجري مجرى الإناء.

إنه يطالب كل إنسان بالاكتفاء الذاتي، ويوجه بهذه الأمثلة إلى كيفية الاستغناء عن السؤال في كل الأمور.

وهذا المعنى مأخوذ من حديث الرسول ﷺ: (ولا تسألوا الناس شيئاً)[1].

وبهذا المسلك الرائع والفقه الدقيق يوضح منهج الإسلام في هذه الأمور التي تشغل الحيز الكبير من حياة الناس.

فالمسلم إنسان عامل، يده العليا، يعطي ولا يأخذ، وهو زاهد بما في أيدي الناس، وزاهد بقدرته على التخلي عما في يده ابتغاء رضوان الله.

٦ ـ نشر العلم:

سبق الحديث عن العلم والعلماء. وأتحدث في هذه الفقرة عن حرص الثوري على نشر العلم، حيث قضى الثوري كل حياته متعلماً ومعلماً، حتى في الأوقات الحرجة التي يصعب فيها القيام بهذه المهمة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٤٣) عن عوف بن مالك. حيث بايع بعض الصحابة الرسول ﷺ وكان في جملة ما أخذ عليهم (ولا تسألوا الناس شيئاً).

فنراه في هربه إلى اليمن، وتنقله في صنعاء من حي إلى حي، لا يتوانى في أداء هذه المهمة، يقول الإمام عبد الرزاق: رأيت سفيان الثوري بصنعاء اليمن يملي على صبي ويستملي له[1].

وقد سبق ورأينا كيف أنه أثناء اختفائه في البصرة، كان يستقبل أهل العلم ويحدثهم الأمر الذي أدى إلى اشتهار أمره ومعرفة مكانه.

وهو لا يرى في الإنسان خيراً إذا كان خلوا من العلم، ولذلك كان إذا لقي شيخاً سأله: هل سمعت من العلم شيئاً؟ فإن قال: لا، قال: لا جزاك الله عن الإسلام خيراً.

فالثوري يرى في انتشار العلم صلاح المجتمع، وفعالية كل إنسان فيه بقدر علمه. ولهذا كان حرصه شديداً على ذلك.

٧ ـ الأولويات:

ويراعي الإمام الثوري في فقهه ووعظه سلَّم الأولويات والأمثلة على ذلك كثيرة.

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٠.

فأول العلم الصمت ثم الاستماع والحفظ، ثم العمل، ثم نشره وتعليمه.

والحرص على تحصيل الدرهم من الحلال، مقدم على الحرص على الصف الأول في الصلاة.

وتحصيل كفاية الأهل من النفقة، مقدم على حضور الجماعة في الصلاة.

والزهد في المنزلة وحب الرياسة مقدم على الزهد في الدنيا.

وأن يموت الإنسان وعنده مال يحاسب عليه، خير من أن يموت ولا شيءَ عنده وهو محتاج إلى الناس..

إن فقه الأولويات في مقدمة أبواب العلم التي ينبغي على المسلم معرفتها لتكون أعماله موافقة لشرع الله تعالى.

مَوَاعِظُ
الإمَام سُفيَان الثّوْريّ

قال تعالى:

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾.

[سورة النحل]

وقال تعالى:

﴿وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾.

[سورة النساء]

السنن والفرائض

قال سفيان:

اعلم أن السنَّة سنتان سنة أخذها هدى وتركها ضلالة[1]، وسنة أخذها هدى وتركها ليس بضلالة.

وأن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة.

وأن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل.

وأنه يحاسب العبد يوم القيامة بالفرائض، فإن جاء بها تامة، قبلت فرائضه ونوافله، وإن لم يؤدها وأضاعها، لحقت النوافل بالفرائض. فإن شاء غفر له، وإن شاء عذبه.

---

(١) المقصود بالسنة هنا معناها العام، أي المنهج الإسلامي فنقول: الحج من سنن الإسلام، بمعنى أنه مما جاء في تعاليم الإسلام، وإن كان حكمه الفرضية.

وأما السنة الثانية فهي بالمعنى الاصطلاحي، الذي هو مقابل الفرض.

وأولى الفرائض الانتهاء عن الحرام والمظالم، وأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ الآية[1] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾[3] وإنما عنى به التقوى عن المظالم أن تتناولوها فتنفقوها في أعمال البر.

يا أخي عليك بتقوى الله، ولسانٍ صادقٍ، ونيةٍ خالصةٍ، وأعمالٍ شتى صالحة، ليس فيها غش ولا خديعة، فإن الله يراك وإن لم تكن تراه، وهو معك أينما كنت، لا يسقط عليه شيء من أمرك، لا تخدع الله فيخدعك. فإنه من يخادع الله يخدعه، ويخلع منه الإيمان، ونفسُه لا تشعر.

ولا تمكرن بأحد من المسلمين المكر السيئ، فإنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

ولا تبغينَّ على أحد من المسلمين، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾[4].

---

(١) سورة النساء، الآية (٥٨).

(٢) سورة النساء، الآية (٥٨).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٩٧).

(٤) سورة يونس، الآية (٢٣).

ولا تغش أحد منَ المؤمنين، فقد بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من غش مؤمناً فقد برئ من المؤمنين).

ولا تخدعنَّ أحداً من المؤمنين، فيكون نفاقاً في قلبك، ولا تحسدنَّ ولا تغتابنَّ فتذهب حسناتك. وقد كان بعض الفقهاء يتوضأ من الغيبة، كما يتوضأ من الحدث.

وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك، وأصلح فيما بينك وبين الله، يصلح الله فيما بينك وبين الناس، واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً[1].

الدنيا والآخرة

قال سفيان:

اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها.

---

(١) هذه الموعظة وغيرها مما لم أبين مرجعه، من كتاب حلية الأولياء ٦/٣٥٦ ـ ٣٩٣ و٧/١ ـ ٨٦.

ضالة لا توجد

قال الفضيل بن عياض لسفيان: دلني على رجل أجلس إليه.

قال: هيهات، تلك ضالة لا توجد[1].

ذكر وشكر

قال سفيان:

حمدُ اللّهِ ذكر وشكر، وليس شيء ذكراً وشكراً غيره.

مراقبة الله

قال سفيان:

يا قوم، راقبوا الله، فإنما هي لحظة، وقد يقبض اللبيب.

موت القلوب

قال سفيان:

كان يقال: يأتي على الناس زمان، تموت فيه القلوب، وتحيى الأبدان.

---

(١) البيان والتبيين ٢/١٠٧.

أكلوا حسناته

قال سفيان:

يؤمر بالرجل إلى النار يوم القيامة، فيقال: هذا عياله أكلوا حسناته[1].

راقب الله

قال سفيان:

يا أخي اطلب العلم لتعمل به، ولا تطلبه لتباهي به العلماء، وتماري به السفهاء، وتأكل به الأغنياء، وتستخدم به الفقراء، فإن لك من علمك ما عملت به، وعليك ما ضيعت منه.

فقد بلغنا ـ والله أعلم ـ أنه من طلب الخير صار غريباً في زماننا.

ولا تستوحش واستقم على سبيل ربك، فإنك إن فعلت ذلك، كان مولاك الله تعالى وجبريل وصالحو المؤمنين.

---

(١) لعل المراد أنه شغل نفسه في الحياة الدنيا بجمع المال، والاهتمام بعياله، الأمر الذي أضاع من أجله واجباته وفروضه.

واشتغل بذكر عيوب نفسك، عن ذكر عيوب غيرك، واحزن على ما قد مضى من عمرك في غير طلب آخرتك. وأكثر من البكاء على ما قد أوقرت به ظهرك، لعلك تخلص منها.

ولا تمل عن الخير وأهله، ولا تباعد عنهم، فإنهم خير لك ممن سواهم، وملَّ الجهال وباطلهم، وتباعد عنهم، فإنه لن ينجو من جاورهم، إلا من عصم الله.

وإن أردت اللحاق بالصالحين، فاعمل بأعمال الصالحين. واكتف بما أصبت من الدنيا، ولا تنس من لا ينساك، ولا تغفل عمن قد وكل بك يحصي أثرك، ويكتب عملك.

راقب الله في سريرتك وعلانيتك، وهو رقيب عليك، واستح ممن هو معك وهو أقرب إليك من حبل الوريد، اعرف فاقة نفسك وحقارة منزلتها، فإنك حقير فقير إلى ربك، وابكِ على نفسك وارحمها، فإنك إن لم ترحمها لم ترحم، ولا تغشها ولا توردها، وخذ منها لك، فإنك بيومك ولست بغدك، وكأن الموت قد نزل بك.

ولا تغفل غفلة الغافلين والجاهلين، وأكثر من البكاء على نفسك، فلست من الضحك بسبيل إن عقلت، فقد بلغنا ـ والله أعلم ـ أن الله تعالى عيَّر أقواماً في كتابه بالضحك وترك البكاء فقال: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١﴾[1] ومدح أقواماً في كتابه فقال: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[2].

العالم والأبواب

قال سفيان:

إذا رأيت القارئ يلوذ بباب السلطان، فاعلم أنه لص. فإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مرائي.

النظر إلى السلطان والقرب منه

قال سفيان:

إذا لم يكن لله في العبد حاجة، نبذه إليهم، ـ يعني السلطان ـ.

---

(١) سورة النجم، الآيات (٥٩ ـ ٦١).

(٢) سورة الإسراء، الآية (١٠٩).

وقال:

لو خيرت بين ذهاب بصري، وبين أن أملأ بصري منهم، لاخترت ذهاب بصري.

وقال سفيان ـ وقد مرَّ به الجند ـ:

يمر بكم المبتلى والمكفوف والزمنى، الذين يؤجرون على بلائهم، فتسألون الله العافية، ويمر بكم هؤلاء فلا تسألون الله العافية.

الفقراء والأغنياء

قال سفيان:

ما أحسن تذلل الأغنياء عند الفقراء، وما أقبح تذلل الفقراء عند الأغنياء.

العزلة

قال سفيان:

والله الذي لا إله إلا هو، ورب هذه الكعبة، لقد حلت العزلة.

وقال:

وددت أني أخذت نعلي هذه، ثم جلست حيث شئت لا يعرفني أحد.

ثم رفع رأسه ثم قال: بعد أن لا أستذل.

وقال:

إني لأفرح إذا جاء الليل، ليس إلا لأستريح من رؤية الناس.

تقويم النفس

قال سفيان:

ما عالجت شيئاً أشد علي من نفسي، مرة عليَّ، ومرة لي[1].

اعملوا ولا تكونوا عالة

قال سفيان:

عليك بعمل الأبطال والإنفاق على العيال.

وقال:

قدِمْتُ البصرة فجلست إلى يوسف بن عبيد، فإذا فتيان كأن على رؤوسهم الطير، فقلت:

يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق، واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/٢٥٨.

فرفع يونس رأسه إليهم فقال:

قوموا فلا أعلمنَّ أحداً منكم جالسني حتى يكسب معاشه من وجهه.

فتفرقوا. قال سفيان:

فوالله ما رأيتهم عنده بعده.

لا تسأل

عن شعيب بن حرب قال: قال لي الثوري:

يا أبا صالح، احفظ عني ثلاثاً:

إن احتجت إلى شسع فلا تسأل.

وإن احتجت إلى ملح فلا تسأل، واعلم أن الخبز الذي تأكله بملح عجن.

وإن احتجت إلى ماء فاستعمل كفيك فإنه يجري مجرى الإناء.

غايتان لا تدركان

قال سفيان:

رضى الناس غاية لا تدرك، وطلب الدنيا غاية لا تدرك.

الزهد في الدنيا والمنزلة

قال سفيان:

ازهد في الدنيا ونم.

وقال:

احذر حب المنزلة، فإن الزهادة فيها أشد من الزهادة في الدنيا.

رسالة إلى عباد

كتب سفيان إلى عباد بن عباد[١]:

أما بعد:

فإنك في زمان كان أصحاب النبي ﷺ يتعوذون أن يدركوه، ولهم من العلم ما ليس لنا، ولهم من القدم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم، وقلة صبر، وقلة أعوان على الخير، وفساد من الناس، وكدر من الدنيا.

---

(١) عباد بن عباد الخواص، أبو عبيدة، أو أبو عتبة، وهو من عباد أهل الثغور، ذكره في الحلية برقم ترجمة ٤١٢، وفي صفة الصفوة برقم ٨٠٠.

فعليك بالأمر الأول، والتمسك به.

وعليك بالخمول فإن هذا زمن خمول.

وعليك بالعزلة، وقلة مخالطة الناس، فقد كان الناس إذا التقوا ينتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذاك، والنجاة في تركهم فيما نرى.

وإياك والأمراء أن تدنو منهم وتخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تخدع فيقال لك: تشفع وتدرأ عن مظلوم، أو ترد مظلمة، فإن ذلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فجار القراء سلماً.

وكان يقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل، والعالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

وما لقيت من المسألة والفتيا، فاغتنم ذلك، ولا تنافسهم فيه.

وإياك أن تكون كمن يحب أن يعملَ بقوله أو ينشر قوله، أو يسمع من قوله، فإذا ترك ذلك منه عرف فيه.

وإياك وحب الرياسة، فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فتفقد نفسك، واعمل بنية.

واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت. والسلام.

صفات آمر السلطان بالمعروف

قال سفيان:

لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجل عالم بما يأمر، عالم بما ينهى، رفيق فيما يأمر، رفيق فيما ينهى، عدل فيما يأمر، عدل فيما ينهى.

قد تتأخر النية

قال سفيان:

طلبت العلم ولم تكن لي نية، ثم رزقني الله النية.

لا يعترض على اجتهاد باجتهاد

قال سفيان:

إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه، وأنت ترى غيره فلا تنهه.

غنى العالم

قال سفيان:

يعجبني أن يكون صاحب الحديث مكفياً، فإن الآفات إليهم أسرع، وألسنة الناس إليهم أسرع.

العلم يزداد

قال سفيان:

ما نعد اليوم طلب العلم فضلًا، لأن الأشياء تنقص وهو يزيد، ولوددت أني أنجو من علمي كفافاً لا لي ولا علي.

العلم خشية

قال سفيان:

ليس طلب العلم فلان عن فلان، إنما العلم خشية الله عز وجل.

التفرغ للعلم

قال سفيان:

لما أردت أن أطلب العلم قلت: يا رب إنه لا بد لي من معيشة، ورأيت العلم يدرس، فقلت أفرغ نفسي لطلبه، وسألت ربي الكفاية والتشاغل لطلب العلم فما رأيت إلا ما أحب إلى يومي هذا.

بلد يموت فيه العلم

قدم سفيان عسقلان، فمكث لا يسأله إنسان. فقال:

اكروا لي لأخرج من هذا البلد، هذا بلد يموت فيه العلم[1].

القصاص

قال ضمرة: قلت لسفيان: نستقبل القاصَّ بوجوهنا؟

فقال: ولوا البدع ظهوركم[2].

هتاف العلم

قال سفيان:

يهتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل[3].

---

(١) إحياء علوم الدين ١/ ١١ لم يرغب سفيان رحمه الله أن يستقر في بلد ليس فيه طلب للعلم، وسؤال عنه.

(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٣٤ والقصاص: هم الذين يجلسون للناس بعد الصلوات غالباً يخوفونهم.. ويغلب عليهم قلة العلم، ولذلك يكون في أحاديثهم المبالغات والأحاديث الموضوعة وذكر بعض البدع..

(٣) إحياء علوم الدين ١/ ٥٩.

فتنة الحديث

قال سفيان:

فتنة الحديث[1] أشد من فتنة الأهل والمال والولد، وكيف لا تخاف فتنته، وقد قيل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم:

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾[2][3].

النظر إلى المسرفين

قال سفيان لرفيق كان يمشي معه ـ فنظر إلى باب دار مرفوع معمور ـ:

لا تفعل ذلك، فإن الناس لو لم ينظروا إليه، لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الإسراف[4].

---

(١) المقصود الحديث إلى الناس. لأن المتحدث لهم يرى لنفسه من المكانة ما يجعله يرى نفسه فوقهم.

(٢) سورة الإسراء، الآية (٧٤).

(٣) إحياء علوم الدين ١/ ٦١.

(٤) إحياء علوم الدين ١/ ١٢٧.

الزهد والمال

قال بشر بن الحارث: قيل لسفيان: أيكون الرجل زاهداً ويكون له مال؟

قال:

نعم، إن كان إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر.

الزهد بالناس

قال سفيان:

الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس، وأول الزهد في الناس زهدك في نفسك.

الزهد والقراءة

قال سفيان:

لا تصلح القراءة إلا بالزهد، واغبط الأحياء بما تغبط به الأموات، وأحب الناس على قدر أعمالهم، وذلَّ عند الطاعة، واستعص عند المعصية.

آثار الزهد

قال سفيان:

إذا زهد العبد في الدنيا، أنبت الله الحكمة في قلبه،

وأطلق بها لسانه، وبصَّره عيوب الدنيا، وداءها ودواءها.

وقال:

عليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا، وعليك بالورع، يخفف الله عنك حسابك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك.

احذر سخط الله

قال سفيان:

احذر سخط الله في ثلاث:

احذر أن تقصر فيما أمرك.

واحذر أن يراك وأنت لا ترضى بما قسم لك.

وأن تطلب شيئاً من الدنيا فلا تجده، أن تسخط على ربك[١].

المال

قال سفيان:

لأن أخلف عشرة آلاف درهم، يحاسبني الله عليها، أحبّ إليّ من أن أحتاج إلى الناس.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٤.

وقال:

كان المال فيما مضى يكره، فأما اليوم، فهو ترس المؤمن.

وسئل عن مسألة ـ وهو يشتري شيئاً فقال: دعني فإن قلبي عند درهمي.

ونظر رجل إلى الثوري وفي يده دنانير فقال: يا أبا عبد الله، تمسك هذه الدنانير؟ قال: اسكت، فلولاها لتمندل[1] بنا الملوك[2].

الصحبة إلى الحج

جاء رجل إلى الثوري يشاوره في الحج. فقال:

لا تصحب من يكرم عليك، فإن ساويته في النفقة أضرَّ بك، وإن تفضل عليك استذَلَّك[3].

---

(١) تمندل: تمسح، من استعمال المنديل، والمراد: لجعلونا ألعوبة بأيديهم.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤١.

الزهد

قال سفيان:

ليس الزهد بأكل الغليظ، ولكنه قصر الأمل، وارتقاب الموت[1].

وقال:

الزهد زهدان: زهد فريضة، وزهد نافلة.

فالفرض: أن تدع الفخر والكبر والعلو، والرياء، والسمعة، والتزين للناس.

وأما زهد النافلة: فأن تدع ما أعطاك الله من الحلال، فإذا تركت شيئاً من ذلك، صار فريضة عليك ألا تتركه إلا لله»[2].

زينة العلم

قال سفيان:

زينوا العلم بأنفسكم، ولا تزينوا بالعلم.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٤.

العلماء أطباء

قال سفيان:

الأعمال السيئة داء، والعلماء دواء، فإذا فسد العلماء فمن يشفي الداء؟

وقال:

العالم طبيب الدين، والدرهم داء الدين، فإذا جذب الطبيب الداء إلى نفسه فمتى يداوي غيره؟

يطلب العلم للتقوى

قال سفيان:

إنما يطلب العلم ليتقى الله به، فمن ثَمَّ فضل، فلولا ذلك لكان كسائر الأشياء.

أول العلم وغايته

قال سفيان:

كان يقال: أول العلم الصمت، والثاني: الاستماع له وحفظه، والثالث: العمل به، والرابع: نشره وتعليمه.

المثابرة على طلب العلم

قال سفيان:

لا نزال نتعلم العلم ما وجدنا من يعلمنا.

فضل العلم

قال سفيان:

ليس عمل بعد الفرائض أفضل من طلب العلم.

الإجبار على التعلم

قال سفيان:

ينبغي للرجل أن يُكْرِه ولده على طلب الحديث، فإنه مسؤول عنه.

طلب الحديث

قال سفيان:

إن هذا الحديث عِزٌّ، من أراد به الدنيا فدنيا، ومن أراد به الآخرة فآخرة.

فتنة الحديث

قال سفيان:

الحديث أكثر من الذهب والفضة، وليس يدرك،

وفتنة الحديث أشد من فتنة الذهب والفضة[1].

العلم حجة على العالم

قال سفيان: لو لم أعلم لكان أقل لحزني.

وقال: وددت أن أنجو من هذا الأمر كفافاً، لا عليَّ، ولا لي.

الرخصة والشدة

قال سفيان:

إنما العلم عندنا: الرخص عن الثقة، فأما التشديد فكل إنسان يحسنه.

العلم هو الآثار

قال سفيان: إنما العلم بالآثار.

وقال: تعلموا هذه الآثار، فمن قال برأيه، فقلْ: رأيي مثل رأيك.

---

(١) يريد أن الأحاديث النبوية الشريفة كثيرة جداً، ولا يمكن لعالم مهما بلغ علمه أن يجمعها ويحصيها، ويقول: كما أن كثرة المال تكون سبباً في فتنة الإنسان بكثرة أمواله، فكذلك السعي وراء كثرة الأحاديث إذا لم يكن وراءها النية الحسنة، فهي الفتنة كفتنة صاحب المال بالمال.

إكرام طلبة العلم

قال سفيان:

لو لم يأتني أصحاب الحديث لأتيتهم في بيوتهم.

وقال:

لو أني أعلم أن أحداً يطلب الحديث بنية، لأتيته في منزله حتى أحدثه.

وقال:

ما من عمل أفضل من طلب الحديث إذا صحت النية فيه.

وقال:

ليس شيء أنفع للناس من الحديث.

أهل الشهوات

قال سفيان:

يا أخي، لا تغبط أهل الشهوات بشهواتهم، ولا ما ينقلبون فيه من النعمة، فإن أمامهم يوماً تزل فيه الأقدام، وترعد فيه الأجسام، وتتغير فيه الألوان،

ويطول فيه القيام، ويشتد فيه الحساب، وتتطاير فيه القلوب حتى تبلغ الحناجر، فيا لها من ندامة على ما أصابوا من هذه الشهوات.

اجعل كسبك فيما يكون لك، ولا تجعل كسبك فيما يكون عليك، فإن الذي يقدم ماله، ويعطي حق الله منه، فماله له وأفضل منه، والذي يخلف ماله ويضيع حق الله فيه، فماله وبال عليه يوم القيامة.

اكسب حلالاً، واجلس مع من كسبه من حلال، وكُلْ طعامَ من كسبُه من حلال، وليكن أهل مشورتك من كسبه من حلال، فإن الورع ملاك الدين، واستكمال أمر الآخرة.

واعلم ـ يا أخي ـ أنه لا يمتنع أحد عن الحرام إلا من هو مشفق على لحمه ودمه، فإنما دينك لحمك ودمك، فاجتنب الحرام، ولا تجلس مع من يكسب الحرام، ولا تأكل مع من كسبه من حرام، ولا تدل أحداً على الحرام، ولا تشيرنَّ به إلى أحد فيأخذه، ولا تورثه إلى أحد. وانصح لكل برٍّ وفاجر أن لا يأخذه، فإن فعلت من ذلك شيئاً فأنت عون له، والعون شريك.

وإياك والظلم، وأن تكون عوناً للظالم، وأن

تصحبه أو تُواكِلَه، أو تبتسم في وجهه، أو تنال منه شيئاً، فتكون عوناً له، والعون شريك.

لا تخلفن أهل التقوى، ولا تخادن أهل الخطايا، ولا تجالس أهل المعاصي، واجتنب المحارم كلها، واتقِ أهلها، وإياك والأهواء، فإن أولها وآخرها باطل.

ولكل ذنب توبة، وترك الذنب أيسر من طلب التوبة، وإن الله غفور رحيم لأهل المعاصي، رحيم للتوابين حليم ودود.

وإياك أن تزداد - بحلمه عنك - جرأة على المعصية، فإن الله لم يرض لأنبيائه المعصية والحرام والظلم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١﴾[1] ثم قال للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾[2] ثم أجملها فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ۝١٦٨﴾[3].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (٥١).
(٢) سورة البقرة، الآية (٢٦٧).
(٣) سورة البقرة، الآية ١٦٨).

واعلم - يا أخي - أنه لم يرض لأنبيائه ولا للمؤمنين ولا للمشركين حراماً.

ولا تتهاون بالذنب الصغير، ولكن انظر من عصيت؟ عصيتَ رباً عظيماً يعاقب على الصغير، ويتجاوز عن الكبير، وإن أكيس الكيس من يدخل الجنة بذنب عمله فنصبه بين عينيه، ثم لم يزل حذراً على نفسه من تلك الخطيئة حتى فارق الدنيا، ودخل الجنة. وإن أحمق الحمق من دخل النار بحسنة واحدة نصبها بين عينيه، ولم يزل يذكرها ويرجو ثوابها، ويتهاون بالذنوب حتى فارق الدنيا ودخل النار.

فكن - يا أخي - كيّساً حذراً على ما زال منك ومضى، لا تدري ماذا يفعل بك ربك فيه، وما بقي من عمرك لا تدري ماذا يحدث لك فيه، فإن إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن حذر على نفسه، فسأل ربه فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[1]، وقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2]، وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ

(١) سورة إبراهيم، الآية (٣٥).

(٢) سورة يوسف، الآية (١٠١).

ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[1]، وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾[2].

فهؤلاء أنبياؤه خافوا على أنفسهم، وإنما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[3].

الإسلام

قال سفيان ـ وقد سئل: ما الإسلام؟ ـ:

قال: إذا غدوت إلى السوق، فانظر إلى أدنى حمال فاسأله عنه فإذا أخبرك عنه، فهو ذاك.

وقال: عليكم بما عليه الحمالون، والنساء في البيوت، والصبيان في الكتّاب، من الإقرار والعمل.

سلامة الصدر

قال سفيان:

نسمع التشديد فنخشى، ونسمع اللين فنرجوه لأهل القبلة، ولا نقضي على الموتى، ولا نحاسب

---

(١) سورة القصص، الآية (١٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٨٩).

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٤ ـ ٢٥.

الأحياء، ونكِلُ ما لا نعلم إلى عالمه، ونتهم رأينا لرأيهم.

السريرة

قال سفيان: كان يقال:

من كانت سريرته أفضل من علانيته، فذلك الفضل، ومن كانت سريرته شراً من علانيته فذلك الجور.

الإيمان

قال سفيان:

الصلاة والزكاة من الإيمان، والإيمان يزيد، والناس عندنا مؤمنون مسلمون، ولكن الإيمان متفاضل، وجبريل أفضل إيماناً منك.

الصف الأخير

قال سفيان:

انظر درهمك من أين هو؟ وصلِّ في الصف الأخير[١].

---

(١) كتاب الزهد الكبير للبيهقي ص٣٤٣ رقم الأثر ٩٣٨.

التمني

قال سفيان:

رِضى المتمني غاية لا تدرك[1].

فضول الدنيا

قال سفيان:

فضول الدنيا رجس عند الله يوم القيامة.

قيل: ما فضول الدنيا؟

قال: أن يكون عندك فضل رداء وأخوك عارٍ، ويكون عندك فضل حذاء وأخوك حافٍ[2].

التقوى ملاك الأمر

عن محمد بن يوسف الفريابي قال: قلت لسفيان الثوري:

أرى الناس يقولون: سفيان الثوري وأنت تنام الليل؟!

---

(١) كتاب الزهد الكبير للبيهقي ص١٠٥ رقم الأثر ١٦٩.

(٢) المصدر قبله ص١٤٢ رقم الأثر ٢٨٣.

قال: اسكت، ملاك هذا الأمر التقوى[1].

سكرة الموت

قال سفيان:

ما من موطن من المواطن أشد عليَّ من سكرة الموت، أخاف أن يشدد علي، فأسأل التخفيف فلا أجاب فأفتن[2].

فجار القراء

قال سفيان:

إن فجار القراء اتخذوا القرآن إلى الدنيا سلَّماً، قالوا: ندخل على الأمراء نفرِّج عن المكروب، ونتكلم في محبوس[3].

العالم طبيب

قال سفيان:

مثل العالم مثل الطبيب، لا يضع الدواء إلا على موضع الداء.

---

(١) صفة الصفوة ٣/ ٩٧.

(٢) صفة الصفوة ٣/ ٩٨.

(٣) صفة الصفوة ٣/ ٩٨.

بناء حول الكعبة

قال وكيع بمكة: سمعت سفيان ـ وسئل عن البناء الذي بنوه حول الكعبة ـ؟

قال: لا تنظروا إليه، فإنهم إنما بنوه لينظر إليه.

تزويق الأبنية

قال يحيى بن المتوكل: مررت مع سفيان برجل يبني بناء، قد شيده فزوقه.

فقال لي: لا تنظر إليه.

قلت: لِمَ يا أبا عبد الله؟

قال: إن هذا إنما بناه ليُنْظَر إليه، ولو كان كل من يمر لم ينظر إليه، لم يبنِ هذا البناء.

البكاء أنواع

قال سفيان:

البكاء عشرة أجزاء، تسعة لغير الله، وواحد لله، فإذا جاء الذي لله في السنة مرة فهو كثير.

اليقين

قال سفيان:

لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي، لطار

فرحاً وحزناً شوقاً إلى الجنة، أو خوفاً من النار.

النظر في المصحف

عن الوليد بن عقبة قال:

كان سفيان الثوري يديم النظر في المصحف، فيوم لا ينظر فيه يأخذه فيضعه على صدره.

ذو العيال

قال سفيان:

لو حدثت عن ذي العيال أنه كفر ما أبعدت.

وقال:

صاحب العيال لا يكون رجلاً صالحاً، وما رأيت صاحب عيال إلا خلط ودخل فيما لا يعنيه[1].

فكيف بعيالي

قال سفيان لرجل كان يكتب للولاة:

يا شيخ، ولي فلان فكتبت له، ثم عزل وولي فلان فكتبت له، ثم عزل وولي فلان فكتبت له، وأنت يوم القيامة أسوؤهم حالاً.

---

(١) الزهد الكبير للبيهقي ص١٨٤ رقم الأثر ٤٤٠.

يدعى بالأول فيسأل، ويدعى بك فتسأل معه عما جرى على يدك له، ثم يذهب وتوقف أنت حتى يدعى بالآخر، فيسأل وتسأل أنت عما جرى على يدك له، ثم يذهب وتوقف أنت حتى يدعى بالآخر. فأنت يوم القيامة أسوؤهم حالاً.

فقال الشيخ: فكيف أصنع يا أبا عبد الله بعيالي؟

فقال سفيان: اسمعوا هذا، يقول: إذا عصى الله رزق عياله، وإذا أطاع الله ضيّع عياله!!

ثم قال سفيان: لا تقتدوا بصاحب عيال.

العيال والحاجة

قال سفيان:

إن عامة من داخل هؤلاء ـ يعني الولاة ـ إنما دفعهم إلى ذلك العيال والحاجة.

وقال:

لا تغترَّ بصاحب عيال، فقلَّ صاحب عيال إلا خلط.

وقال:

لا تعبأنَّ بأبي العيال، ولا تغترنَّ به[1].

مساوئ المال

قال سفيان: قال عيسى ابن مريم عليه السلام:

حب الدنيا رأس كل خطيئة، والمال فيه داء كثير.

قيل: يا روح الله، ما داؤه؟

قال: لا يؤدي حقه.

قالوا: فإن أدى حقه؟

قال: لا يسلم من الفخر والخيلاء.

قالوا: فإن سلم من الفخر والخيلاء؟

قال: يشغله استصلاحه عن ذكر الله.

ثلاثة من الصبر

قال سفيان:

ثلاثة من الصبر: لا تحدث بمصيبتك، ولا بوجعك، ولا تزكِ نفسك.

---

(١) المراد بهذه الأقوال ـ والله أعلم ـ العلماء ذوو العيال، فكأنه يقول لمن يسمع قوله: لا تجعل هؤلاء قدوة لك ولا تعبأ بأقوالهم ولا بأفعالهم، إذ قد تلجئهم الضرورة إلى الانحراف.

الحض على الكسب والعمل

قال سفيان: يا أخي، عليك بالكسب الطيب وما تكسب بيدك، وإياك وأوساخ الناس أن تأكله أو تلبسه، فإن الذي يأكل أوساخ الناس مثله مثل عليَّة لرجل، وسفله ليس له، فهو لا يزال على خوف أن يقع سفله وتهدم عليته، فالذي يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى، ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه.

ويا أخي، إن تناولت من الناس شيئاً قطعت لسانك[1]، وأكرمت بعض الناس وأهنت بعضهم، مع ما ينزل بك يوم القيامة، فإن الذي يعطيك شيئاً من ماله فإنما هو وسخه ـ وتفسير وسخه: تطهير عمله من الذنوب ـ.

وإن أنت تناولت من الناس شيئاً، إن دعوك إلى منكر أجبتهم، وإن الذي يأكل أوساخ الناس، كالرجل له شركاء في شيء، ينبغي له أن يقاسمهم.

ويا أخي، جوع وقليل من العبادة، خير من أن تشبع من أوساخ الناس وكثير من العبادة، وقد بلغنا أن

(١) أي أنك لن تتكلم حيث يجب الكلام.

رسول الله ﷺ قال: (لو أن أحدكم أخذ حبلاً، ثم احتطب حتى يدبر ظهره، كان خيراً له من أن يقوم على رأس أخيه يسأله أو يرجوه).

وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال: من عمل منكم حمدناه، ومن لم يعمل اتهمناه.

وقال: يا معشر القراء، ارفعوا رؤوسكم، ولا تزيدوا الخشوع على ما في القلب، استبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على الناس، فقد وضح الطريق.

وقال علي بن أبي طالب: إن الذي يعيش من أيدي الناس، كالذي يغرس شجره في أرض غيره.

فاتقِ الله يا أخي، فإنه ما نال أحد من الناس شيئاً، إلا صار حقيراً ذليلاً عند الناس، والمؤمنون شهود الله في الأرض.

وإياك أن تكسب خبيثاً فتنفقه في طاعة الله، فإن تركه فريضة من الله واجبة، وإنه طيب لا يقبل إلا طيباً. أرأيت رجلاً أصاب ثوبه بول، ثم أراد أن يطهره فغسله ببول آخر؟ أترى كان ذلك يطهره، كلا. إن القذر لا يطهر إلا بطيب.

فكذلك لا تمحى السيئة إلا بالحسنة، وإن الله طيب لا يقبل إلا الطيب، وإن الحرام لا يقبل في شيء من الأعمال.

وهل عمل أحد ذنباً فمحاه بذنب؟!

هكذا كانوا

مشى قوم إلى منزل سفيان الثوري، فلم يجدوه، ففتحوا الباب، وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون[١].

فدخل الثوري وجعل يقول: ذكرتموني أخلاق السلف، هكذا كانوا[٢].

أدب الضيافة

قال سفيان:

إذا زارك أخوك، فلا تقل له: أتأكل؟ أو: أقدم إليك؟ ولكن قدِّم فإن أكل وإلا فارفع[٣].

---

(١) كان بيت سفيان بيتاً متواضعاً، ولم يكن له أهل فيه.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ١٠.

(٣) إحياء علوم الدين ٢/ ١٢.

الهرب من الشهرة

قال سفيان:

هذا زمان سوء، لا يؤمن فيه على الخامل، فكيف على المشتهرين؟ هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد، كلما عرف في موضع تحول إلى غيره[1].

إلى حيث تقل النفقة

قال أبو نعيم:

رأيت سفيان الثوري، وقد علق قلته بيده، ووضع جرابه على ظهره[2]. فقلت: إلى أين يا أبا عبد الله؟

قال: بلغني عن قرية فيها رخص، أريد أن أقيم بها.

فقلت له: وتفعل هذا؟

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/٢٤٨.

أقول: وكثيراً ما سمعت والدي ـ رحمه الله ـ يقول: خصَّ بالبلاء من كثرت معرفته بالناس.

(٢) هذا كل متاع سفيان الثوري، قلة يشرب منها ويتوضأ، وجراب فيه زاده.

قال: نعم، إذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقم بها، فإنه أسلم لدينك، وأقلّ لهمك[1].

موعظة موجزة

كتب رجل من إخوان سفيان إلى سفيان: أن عظني وأوجز. فكتب إليه:

عفانا الله وإياك من السوء كله، يا أخي، إن الدنيا غمها لا يفنى، وفرحها لا يدوم، وفكرها لا ينقضي، فاعمل لنفسك حتى تنجو ولا تتوانَ، فتعطب، والسلام.

قلة أهل المعروف

قال سعيد بن صدقة: أخذ سفيان الثوري بيدي، فأخرجني إلى الجبان، فاعتزلنا ناحية عن طريق الناس، فبكى، ثم قال:

إن استطعت أن لا تخالط في زمانك هذا أحداً فافعل، وليكن همك مرمَّة جهازك، واحذر إتيان هؤلاء الأمراء، وارغب إلى الله في حوائجك لديهم، وافزع

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/٢٤٨.

إليه فيما ينوبك، وعليك بالاستغناء عن جميع الناس، وارفع حوائجك إلى من لا تعظم الحوائج عنده.

فوالله ما أعلم اليوم بالكوفة أحداً أفزع إليه في قرض عشرة دراهم.. أقرضني ثم كتبها علي، حتى يذهب ويجيء ويقول: جاءني سفيان فاستقرض مني فأقرضته.

اختبار الأصدقاء

قال سفيان:

اصحب من شئت، ثم أغضبه، ثم دس إليه من يسأله عنك.

لا حول ولا قوة إلا بالله

قال سفيان:

أتدرون ما تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله؟ قال: لا يعطي أحد إلا ما أعطيتَ، ولا يقي أحد إلا ما وقيت.

كم مؤمن مات غيظاً

قال رجل لسفيان الثوري: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟

فقال: تسألني كيف أصبحت؟ وقد والله تحيرت. اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشيداً تعزّ فيه وليَّك، وتذل فيه عدوَّك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر. ثم تنفس سفيان وقال:

كم من مؤمن رأيناه مات غيظاً.

حساب النفس

قال سفيان:

انظر يا أخي أن يكون أمرك ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس: التفكر في يومك الذي مضى، فما كان من طاعة الله فاستقم عليها، وما كان من معصية الله فانزع عنها. ولا تُعِدْ فيها يديك، فإنك لا تدري أتستكمل يومك أم لا، وإن التوبة مبسوطة، وترك الذنب أيسر عليك من طلب التوبة، والتوبة النصوحة هي الندامة التي لا رجعة فيها.

واتق الله حيثما كنت، إذا عملت ذنباً في السر، فتب إلى الله في السر، وإذا عملت في العلانية، فتب إلى الله في العلانية، ولا تدع ذنباً يركب ذنباً، وأكثر من البكاء ما استطعت، والضحك فلست منه بسبيل، فإنك لم تخلق عبثاً.

وصِلْ رحمك وقرابتك وجيرانك وإخوانك، ثم إذا رحمتَ، رحمت مسكيناً أو يتيماً أو ضعيفاً، وإذا هممت بصدقة أو ببرٍّ أو بعمل صالح، فعجل مضيه من ساعته، من قبل أن يحول بينك وبينه الشيطان.

واعمل بنية، وكُلْ بنية، واشرب بنية، ولا تأكل وحدك، ولا تنامنَّ وحدك فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد. ولا تأكل في ظلمة، فإن الشيطان يأكل في ظلمة.

وإياك والشح، فإن الشح يفسد عليك دينك.

ولا تَعِدَنَّ أحداً شيئاً فتخلفه، فتستبدل بالمودة بغضاً، وإياك والشحناء فإنه لا يقبل توبة عبد يكون بينه وبين أخيه شحناء، وإياك والبغضاء فإنما هي الحالقة.

وعليك بالسلام لكل مسلم، يخرج الغلَّ والغشَّ من قلبك، وعليك بالمصافحة تكن محبوباً إلى الناس.

ولا تزل على وضوء تحبك الحفظة، وإن مت مت شهيداً، وأدن اليتيم منك وامسح رأسه يزد في عمرك، وتكن رفيق نبيِّك، ارحم الصغير، ووقر الكبير تلحق بالصالحين.

وأطعم طعامك الأتقياء الصالحين، وإن كان غنياً يحبك الله، ويلقي محبتك على الناس.

وإذا لبست جديداً، فألقِ خلقانك[1] على عارٍ، يمحَ اسمك من البخلاء، ويزد في حسناتك، وينقص من سيئاتك.

ولا تحب إلا في الله، ولا تبغض إلا في الله، فإن لم تفعل كان سيماك سيما المنافقين.

ظهر الفساد

قيل للثوري: ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟!

قال: إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره؟![2].

النعم المغضوب عليها

قال سفيان:

أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها، قد وضعت

---

(١) الثوب الخلق: البالي.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ٣١١، لم يرد بذلك الامتناع عن الأمر بالمعروف، وإنما أراد أن ينبه إلى كثرة المنكرات.

في غير أهلها[1].

للدنيا وللآخرة

قال سفيان:

خذ من الدنيا لبدنك، وخذ من الآخرة لقلبك[2].

خير دنياكم

قال سفيان:

خير دنياكم ما لم تبتلوا به، وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم[3].

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/٢٠٧. وهذا يلتقي مع قوله أيضاً: إذا أردت أن تعرف قدر الدنيا فانظر عند من هي.

(٢) إحياء علوم الدين ٣/٢٠٩ والمعنى: خذ من الدنيا ما به قوام جسمك من طعام ولباس ومأوى. واجعل شغل قلبك بما يهمك من أمر الآخرة، فلا تشغله بأمر بدنك.

(٣) إحياء علوم الدين ٣/٢٣٩ والمعنى: ما خرج من أيديكم فأنفقتموه في ميدان الخير وفقاً لما جاء في الحديث الشريف (بقيت كلها إلا الذراع) بالنسبة للشاة التي تصدق بها أهله ولم يبق منها إلا الذراع.

غفران الذنوب

قال سفيان:

من أذنب ذنباً، فعلم أن الله تعالى قدَّره عليه، ورجاه غفرانه، غفر الله له ذنبه. لأن الله عز وجل عير قوماً فقال: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾[2][3].

معرفة الناس

قال سفيان:

أقلل من معرفة الناس يقل عيبك. وأقلَّ من معرفة الناس تقل غيبتك.

اعرف نفسك

قال سفيان:

إذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك.

---

(١) سورة فصلت، الآية (٢٤).

(٢) سورة الفتح، الآية (١٢).

(٣) إحياء علوم الدين ٤/ ١٤٥.

أقبل على نفسك

قال سفيان:

هذا زمان خاصة، ليس زمان عامة، أقبل الرجل على نفسه وترك عوامهم.

الصمت

قال سفيان:

لا تتكلم بلسانك ما تكسر به أسنانك.

لا يخدمه أحد

قال محمد بن مزاحم: جعل سفيان الثوري على نفسه ثلاثة أشياء:

أن لا يخدمه أحد.

وأن لا تطوى له ثوب.

وأن لا يضع لبنة على لبنة.

ترك الذنوب دعاء

قيل لسفيان: يا أبا عبد الله، لو دعوت بدعوات؟ قال:

ترك الذنوب هو الدعاء.

مكافأة المعروف

قال سفيان:

إني لأريد شرب الماء، فيسبقني الرجل إلى الشربة فيسقينيها، فكأنما دقَّ ضلعاً من أضلاعي لا أقدر له على مكافأة بفعله.

الدعاء بالستر

عن يحيى بن اليمان قال: تسمعت إلى الثوري وهو يقول:

سترك الجميل الذي لم يزل، سترك الجميل الذي لم يزل.

وصيته لعلي بن الحسن

قال مبارك أبو حماد: سمعت سفيان يقول لعلي بن الحسن السليمي:

إياك وما يفسد عليك عملك وقلبك، فإنما يفسد عليك قلبك مجالسة أهل الدنيا، وأهل الحرص، وإخوان الشياطين، الذين ينفقون أموالهم في غير طاعة الله.

وإياك وما يفسد عليك دينك، فإنما يفسد عليك دينك مجالسة ذوي الألسن، المكثرين للكلام.

وإياك وما يفسد عليك معيشتك، فإنما يفسد عليك معيشتك أهل الحرص، وأهل الشهوات.

وإياك ومجالسة أهل الجفاء، ولا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي، ولا تصحب الفاجر ولا تجالسه، ولا تجالس من يجالسه، ولا تؤاكله ولا تؤاكل من يؤاكله. ولا تحب من يحبه، ولا تفشِ إليه سرك، ولا تبسم في وجهه، ولا توسع له في مجلسك، فإن فعلت شيئاً من ذلك، فقد قطعت عرى الإسلام.

وإياك وأبواب السلطان، وأبواب من يأتي أبوابهم، وأبواب من يهوى هواهم، فإن فتنتهم مثل فتنة الدجال. فإن جاءك منهم أحد، فانظر إليه بوجه مكفهر ولا تبالِ منهم شيئاً، فيرون أنهم على الحق، فنكون من أعوانهم، فإنهم لا يخالطون أحداً إلا دنسوه.

وكن مثل الأترجة، طيبة الريح، طيبة الطعم، لا تنازع أهل الدنيا في دنياهم تكن محبباً إلى الناس.

وإياك والمعصية، فتستحق سخط الله، واعلم أنه

لم يكن أحد أكرم على الله من آدم عليه السلام، جبل الله تربته بيده، ونفخ فيه من روحه، وأكرمه بسجود ملائكته، وأسكنه جنته، فأخرجه منها بذنب واحد.

واعلم - يا أخي - أن الله تعالى لا يدخل أحداً الجنة بالمعاصي، وأن داود عليه السلام خليفة الله في الأرض، نزل ما نزل به بخطيئة واحدة، ولو أنا عملنا مثلها لقلنا ليست بخطيئة. فاتقِ الله يا أخي، واجتنب المعاصي وأهلها، فإن أهل المعاصي استوجبوا من الله النقمة.

وكن مبذولاً بمالك ونفسك لإخوانك، ولا تَغشهم في السر والعلانية، وأبغض الجهال ومجالستهم، والفجار وصحبتهم، فإنه لا ينجو من جاورهم إلا من عصم الله.

وإذا كنت مع الناس، فعليك بكثرة التبسم والبشاشة، وإذا خلوت بنفسك فعليك بكثرة البكاء والهمِّ والحزن، فقد بلغنا - والله أعلم - أن أكثر ما يجد المؤمن يوم القيامة في كتابه من الحسنات الهمّ والحزن.

وإياك وخشوع النفاق، وأن تظهر على وجهك خشوعاً ليس في قلبك.

ولاية القضاء

عن زيد بن أبي خداش؛ قال:

لقي سفيان شريكاً بعدما ولي قضاء الكوفة فقال:

يا عبد الله، بعد الإسلام والفقه والخير، تلي القضاء، وصرت قاضياً؟!

فقال له شريك: يا أبا عبد الله، لا بد للناس من قاض.

فقال له سفيان: يا أبا عبد الله، لا بد للناس من شرطي.

شفاعة إلى الوالي

قال النضر بن أبي زرعة، قال لي مبارك بن سعيد بالموصل: ائت سفيان وأخبره أن نفقتي قد نفدت، وثيابي قد تخرقت، وقل له يكتب إلى والي الموصل لعله يصلني بشيء أكتسي به وأتجمل.

فقدمت الكوفة، فأتيت سفيان فأخبرته بما قال لي مبارك.

فدخل الدار فأخرج دورقاً فيه كِسَرٌ يابسة، فنشرها على الأرض فقال: لو رضي مبارك بمثل هذا لم يكن بالموصل. ما له عندنا كتاب.

قال مبارك وكتب سفيان إلي:

أما بعد: فأحسن القيام على عيالك، وليكن الموت من بالك والسلام.

ضحك القاضي

مر سفيان الثوري بالقاضي وهو يتكلم ببعض ما يضحك به الناس.

فقال له: يا شيخ أما علمت أن لله يوماً يحشر فيه المبطلون؟!

فما زالت تعرف في وجه القاضي حتى لقي الله عز وجل.

اختيار الفقراء واختيار الأغنياء

قال سفيان:

اختار الفقراء ثلاثة أشياء، واختار الأغنياء ثلاثة أشياء.

اختار الفقراء: راحة النفس، وفراغ القلب، وخفة الحساب.

واختار الأغنياء: تعب النفس، وشغل القلب،

وشدة الحساب[١].

العالم الزاهد

قال رجل لسفيان: أشتهي أن أرى عالماً زاهداً.

فقال: ويحك!! تلك ضالة لا توجد[٢].

اللباس المناسب

قال سفيان:

البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء، ولا يحقرك عند الجهال[٣].

الحب

قال سفيان:

المحبة اتباع رسول الله ﷺ[٤].

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٢٠٤.

(٢) إحياء علوم الدين ٤/ ٢٢٤.

(٣) إحياء علوم الدين ٤/ ٢٣٤.

(٤) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٦٠.

تعلم النية

قال سفيان:

كانوا يتعلمون النية للعمل، كما تتعلمون العمل[1].

طاعة الوالدين

قال سفيان:

لا طاعة للوالدين في الشبهات[2].

لو كانت على الطريق

قال رجل لسفيان: ذهب الناس يا أبا عبد الله، وبقينا على حمر دبرة[3].

فقال: ما أحسن حالها لو كانت على الطريق[4].

النظر إلى الظلمة

قال سفيان:

النظر إلى وجه الظالم خطيئة، ولا تنظروا إلى

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٦٤ والمقصود بتعلم النية: تعلم الإخلاص في العمل الذي يجعل النية خالصة.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٤١.

(٣) دبرة: أي بطيئة متأخرة.

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٤١.

الأئمة المضلين إلا بإنكار من قلوبكم عليهم، لئلا تحبط أعمالكم.

وقال:

ولا تنظروا إلى دورهم، ولا إليهم إذا مروا على المراكب.

لا يستضاء بنار الظلمة

قال أبو شهاب: كنت ليلة مع سفيان الثوري، فرأى ناراً من بعيد فقال: ما هذا؟ فقلت: نار صاحب الشرطة، فقال:

اذهب بنا في طريق آخر، لا نستضيء بنارهم.

دعه نائماً

عن داود عن أبيه قال: كنت مع سفيان الثوري، فمررنا بشرطي نائم وقد حان وقت الصلاة، فذهبت أحركه، فصاح سفيان: مه.

فقلت: يا أبا عبد الله، يصلي!

فقال: دعه، لا صلى الله عليه، فما استراح الناس حتى نام هذا.

وقال:

إن استرشدك أحد من هؤلاء الطريق فلا ترشده.

الثوري والأوزاعي في مكة

عن المفضل بن مهلهل، قال: خرجت حاجاً مع سفيان، فلما صرنا إلى مكة وافينا الأوزاعي بها، فاجتمعنا أنا والأوزاعي وسفيان في دار.

قال: وكان على الموسم عبد الصمد بن علي الهاشمي، فدق داق الباب، فقلنا: من هذا؟ قال: الأمير.

فقام الثوري، فدخل المخدع، وقام الأوزاعي فتلقاه، فقال له عبد الصمد: من أنت أيها الشيخ؟ قال: أبو عمرو الأوزاعي، قال: حياك الله بالسلام، أما إن كتبك كانت تأتينا، فكنا نقضي حوائجك. ما فعل سفيان الثوري؟ قال: قلت: دخل المخدع.

فدخل الأوزاعي في أثره فقال: إن هذا الرجل ما قصد إلا قصدك.

فخرج سفيان مغضباً، فقال: سلام عليكم، كيف أنتم؟

فقال له عبد الصمد: أتيتك أكتب هذه المناسك عنك.

فقال له سفيان: أوَ لاَ أدلك على ما هو أنفع لك منها؟

قال: وما هو؟

قال: تدع ما أنت فيه.

فقال: كيف أصنع بأمير المؤمنين، أبي جعفر؟

قال: إن أردت الله، كفاك أبا جعفر.

فقال له الأوزاعي: يا أبا عبد الله، إن هؤلاء ليس يرضون منك إلا بالإعظام لهم.

فقال له: يا أبا عمرو، إنا لسنا نقدر أن يضرً بهم، وإنما نؤذيهم بمثل هذا الذي ترى.

فقال مفضل: فالتفت إلي الأوزاعي فقال: قم بنا من هاهنا، فإني لا آمن هذا يبعث من يضع في رقابنا حبالاً، وإن هذا ما يبالي.

سفيان والحكام

قال سفيان:

والله ما يمنعني من إتيانهم أني لا أرى لهم طاعة، ولكني رجل أحب الطعام الطيب[١]، فأخاف أن يفسدوني.

---

(١) المقصود بالطيب: الحلال الذي لا شبهة فيه.

وقال ـ وقد ذكروا طلب السلطان إياه ـ:

أترون أني أخاف هوانهم؟ إنما أخاف كرامتهم.

وقال:

ما يريد مني أبو جعفر: فوالله لئن قمت بين يديه لأقولنَّ له: قم من مقامك، فغيرك أولى به منك.

رسالة في الوعظ

كتب سفيان إلى أخ له بمواعظ قال:

عافانا الله وإياك من النار برحمته.

وأوصيك وإياي بتقوى الله، واحذر أن تجهل بعد إذ علمت، وتهلك بعد إذ أبصرت، وتدع الطريق بعد إذ وضح لك. وتغتر بأهل الدنيا بطلبهم لها، وحرصهم عليها، وجمعهم لها.

فإن الهول شديد، والخطر عظيم، والأمر قريب، وكأن قد كان.

وتفرغ وفرغ قلبك، ثم الجد الجد، والوحا الوحا، والهرب الهرب، وارتحل إلى الآخرة قبل أن يُرتَحل بك، واستقبل رسل ربك، وانكمش واشدد مئزرك من قبل أن يقضى قضاؤك، ويحال بينك وبين ما تريد.

فقد وعظتك بما وعظت به نفسي، والتوفيق من الله، ومفتاح التوفيق الدعاء والتضرع والاستكانة، والندامة على ما فرطت، ولا تضيع حقك من هذه الأيام والليالي.

أسأل الله الذي منّ علينا بمعرفته، أن لا يكلنا وإياك إلى أنفسنا، وأن يتولى منا ومنك ما يتولى من أوليائه وأحبابه، ثم إياك وما يفسد عليك عملك، فإنما يفسد عليك عملك الرياء. فإن لم يكن رياء فإعجابك بنفسك، حتى يخيل إليك أنك أفضل من أخ لك. وعسى أن لا تصيب من العمل مثل الذي يصيب، ولعله أن يكون هو أورع منك عما حرم الله، وأزكى منك عملاً.

فإن لم تكن معجباً بنفسك، فإياك أن تحب محمدة الناس، ومحمدتهم أن تحب أن يكرموك بعملك، ويروا لك به شرفاً ومنزلة في صدورهم، أو حاجة تطلبها إليهم في أمور كثيرة، فإنما تريد بعملك ـ زعمت ـ وجه الدار الآخرة، لا تريد به غيره.

فكفى بكثرة ذكر الموت مزهداً في الدنيا، ومرغباً في الآخرة.

وكفى بطول الأمل قلة خوف، وجرأة على المعاصي.

وكفى بالحسرة والندامة يوم القيامة لمن كان يعلم ولا يعمل.

الظن

قال سفيان:

الظن ظنان: فظن فيه إثم، وظن ليس فيه إثم.

فأما الظن الذي فيه إثم فالذي يتكلم به.

وأما الظن الذي ليس فيه إثم، فالذي لا يتكلم به.

رخص الأسعار

قال سفيان:

إذا بلغكم عن موضع رخص فارتحلوا إليه، فإنه أسلم لدينكم، وأقل لتهمتكم.

وقال:

إذا أردت أن تتعبد فأحرز الحنطة.

وقال رجل لسفيان: أين تطيب العبادة؟ فقال:

حيث جوالق من خبز بدرهم، حتى لا يمد أحد عينه إلى أحد.

وقال:

مكتوب في التوراة: إذا كان في البيت بر فتعبد، فإذا لم يكن فالتمس.

بصر العين وبصر القلب

قال سفيان:

بصر العينين من الدنيا، وبصر القلب من الآخرة، وإن الرجل ليبصر بعينه، فلا ينتفع ببصره، وإذا أبصر بالقلب انتفع.

فقد الثقة

قال معدان: زاملت سفيان الثوري من الكوفة إلى مكة، فلما جعل الكوفة بظهره قال:

ما خلفت خلف ظهري من أثق به، ولا أقدم على من أثق به في الدين.

الصمت ستر الجاهل

قال سفيان:

كان يقال: الصمت زين العالم وستر الجاهل

صدق المحبة

قال سفيان في قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[1].

قال: هم الذين ادعوا محبة الله تعالى، ولم يكونوا بها صادقين[2].

عليك بثلاثة

قال سفيان:

عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية.

وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء.

وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة[3].

افتضحوا فاصطلحوا

كان سفيان إذا قالوا له حدثنا يقول:

---

(١) سورة الزمر، الآية (٦٠).

(٢) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٨٧.

(٣) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٩٨.

ما أراكم أهلاً للحديث، ولا أرى نفسي أهلاً لأن أحدث، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال القائل: افتضحوا فاصطلحوا[1].

ذكر الأموات وحياة القلوب

قال سفيان:

ما كنت أظن أن أعيش إلى زمان، إذا ذكرت الأحياء ماتت القلوب، وإذا ذكرت الأموات حييت القلوب[2].

الزاجر

قال سفيان:

إلهي! البهائم يزجرها الراعي فتنزجر عن هواها، وأراني لا يزجرني كتابك عما أهواه، فيا سوأتاه[3].

الدنيا والحزن

قال سفيان:

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٤١.
(٢) المصدر السابق ١/ ٤١.
(٣) المصدر السابق ١/ ٤١.

ما أعطي رجل من الدنيا شيئاً، إلا قيل له: خذه ومثله حزناً.

قدر الدنيا

قال سفيان:

إذا أردت أن تعرف قدر الدنيا، فانظر عند من هي.

إياك والشهرة

قال سفيان:

إياك والشهرة، فما أتيت أحداً إلا وقد نهاني عن الشهرة.

المعصية والبدعة

قال سفيان:

البدعة أحبّ إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.

ذكر المناقب

قال سفيان:

إذا كنت في الشام فاذكر مناقب علي، وإذا كنت

بالكوفة فاذكر مناقب أبي بكر وعمر[1].

التزام السنة

قال سفيان:

لا يستقيم قول إلا بعمل.

ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية.

ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة.

الحب في الله

قال سفيان:

إذا أحببت الرجل في الله، ثم أحدث حدثاً في الإسلام، فلم تبغضه عليه، فلم تحبه في الله.

العلم للعمل

قال سفيان:

---

(١) هذا من الحكمة في الجهر بالحق، ففي الشام حيث طمست شخصية علي رضي الله عنه يحسن أن تشيد بذكره، أما في الكوفة حيث شيعة علي فيحسن أن تشيد بذكر أبي بكر وعمر.

إنما يراد العلم للعمل، لا تدع طلب العلم للعمل، ولا تدع العمل لطلب العلم.

القصد في المعيشة

قال سفيان:

عليك بالقصد في معيشتك، وإياك أن تتشبه بالجبابرة، وعليك بما لا يقرف من الطعام والشراب، واللباس والمركب.

التعبد ببغداد

قال سفيان:

مثل المتعبد ببغداد، مثل المتعبد في الكنيف[1].

يصلي وحده

سئل الثوري: ما تقول في قصار إذا كسب درهماً كان فيه ما يقوته ويقوت عياله، ولم يدرك الصلاة في الجماعة، وإذا كسب أربعة دوانيق أدرك الصلاة في

(١) كأنه رأى بغداد مكاناً سيئاً تقوم فيه النجاسات المعنوية ـ في زمنه ـ من الظلم والمحاباة.. فشبهها بمكان لا تصح فيه الصلاة وهو الكنيف.

جماعة، ولم يكن فيه ما يقوته ويقوت عياله، أيهما أفضل؟

قال: يكسب الدرهم ويصلي وحده[1].

ذهب أهل الورع

قال سفيان:

ما خالفت رجلاً في هواه، إلا وجدته يغلي عليَّ، ذهب أهل العلم والورع.

المدين لا يأكل اللحم

سئل سفيان عن رجل عليه دين، أيأكل اللحم؟
قال: لا.

تعجلوا بركة العلم

قال زيد بن أبي الزرقاء:

خرج سفيان، ونحن على بابه نتدارى في

---

(١) القصار: هو الذي يصبغ الثياب، وصلاته في الجماعة تقتضي منه الوقوف عن عمله قبل كل صلاة، حتى يغير ثيابه ويغسل جسمه، الأمر الذي يستغرق وقتاً غير قصير.

النسخ[1].

فقال:

يا معشر الشباب، تعجلوا بركة هذا العلم، فإنكم لا تدرون لعلكم لا تبلغون ما تؤملون منه، ليفد بعضكم بعضاً.

الحرص على الإمامة

قال سفيان:

إذا رأيت الرجل حريصاً على أن يؤتم فأخره.

لو أن البهائم

قال سفيان:

لو أن البهائم تعقل من الموت ما تعقلون، ما أكلتم منها سميناً[2].

---

(١) المراد أنه يتلطف الفريق الذي لم يكتب ولم ينسخ، بالفريق الذي فعل ذلك حتى يعطوهم ما كتبوه لينسخوه إلى صحفهم.

(٢) أي لو عقلت البهائم الموت لأصابها الهزال والمرض من خوفها منه، وعندئذ لن يكون فيها سمين.

يقاس الشيخ بالشرع

قال سفيان:

إذا رأيتموني قد تغيرت عن الحال الذي أنا عليه اليوم، فاعلموا أني قد بدلت.

قراء الشيطان

قال سفيان:

لله قراء، وللشيطان قراء، وصنفان إذا صلحا صلح الناس: السلطان والقراء.

اليقين

قال سفيان:

اليقين أن لا تتهم مولاك في كل ما أصابك.

ترك الحلال

قال سفيان:

كان أقوام يدعون إلى الحلال فلا يقبلونه، ويقولون: نخاف منه على أنفسنا.

شدة الخوف

قال سفيان:

ما أطاق أحد العبادة ولا قوي عليها إلا بشدة الخوف.

حسن الأدب

قال سفيان:

كان يقال: حسن الأدب يطفئ غضب الرب عز وجل.

لا يعاب العلم

قال يحيى بن يمان: ما سمعت سفيان يعيب العلم قط ولا من يطلبه. قالوا: ليست لهم نية. قال: طلبهم العلم نية.

نصيب الشيطان من العلم

قال سفيان:

لولا أن للشيطان فيه نصيباً، ما ازدحمتم عليه. يعني العلم[1].

---

(١) من المشاهد في كل زمن أن طائفة من العلماء تكون في ما يدعو إليه الشيطان. كما أن العالم الملتزم قد يداخله الشيطان عن طريق الكبر أو غيره.

سمت العالم

قال سفيان:

تعلموا العلم، فإذا علمتموه فاكظموا[1] عليه، ولا تخلطوه بضحك ولا لعب فتمجه القلوب.

حملة العلم

قال سفيان:

إنما العلم إنما أخذ عن العرب، فإذا صار إلى النبط وسفل الناس قلبوا العلم.

وقال لرجل من العرب:

اطلبوا العلم - ويحكم - فإني أخاف أن يخرج منكم فيصير في غيركم، اطلبوه - ويحكم - فإنه عز وشرف في الدنيا والآخرة.

وقال محمد بن يوسف الفريابي:

كان سفيان لا يحدث النبط ولا سفل الناس.

---

(١) اكظموا: كظم غيظه: رده وحبسه، والمراد الحفاظ عليه وعدم وضعه في غير مكانه أو خلطه بما لا يناسبه.

الدعاء للظالم

قال سفيان:

من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصى الله.

الانتباه عند الموت

قال سفيان:

الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا.

مثل الدنيا

قال سفيان:

إنما مثل الدنيا، مثل رغيف عليه عسل، مرَّ به ذباب فقطع جناحيه، وإذا مر برغيف يابس مرَّ به سليماً.

التوكل

قال سفيان:

لو أن السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، ثم اهتممت بشيء من رزقي لظننت أني كافر.

بسط الدنيا

قال سفيان:

ما بسطت الدنيا على أحد إلا اغتراراً، وما زويت عنه إلا اختباراً.

العزلة في آخر الزمان

قال سفيان:

الزموا الصوامع في آخر الزمان، إن صوامعكم بيوتكم.

انظر من أين؟

قال سفيان:

إني لم أنهكم عن الأكل، ولكن انظر من أين تأكل.

وارتحل وانظر من أين تدخل.

وتكلم وانظر كيف تتكلم.

كيف أنهاكم عن الأكل والله تعالى يقول:

﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾[1].

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٣١).

إياكم والبطنة

قال سفيان:

إياكم والبطنة، فإنها تقسي القلب، واكظموا الغيظ، ولا تكثروا الضحك فإنه يميت القلوب.

علامة حب الدنيا

قال سفيان:

إني لأعرف حب الرجل للدنيا، بتسليمه على أهل الدنيا.

حب الدنيا والخشية

قال سفيان:

بلغني أنه يأتي على الناس زمان تمتلئ قلوبهم - في ذلك الزمان - من حب الدنيا، فلا تدخله الخشية.

قال سفيان:

وأنت تعرف ذلك، إذا ملأت جراباً من شيء حتى يمتلئ، فأردت أن تدخل فيه غيره لم تجد لذلك من خلاء.

الفاجر الراجي

قال سفيان:

الفاجر الراجي لرحمة الله، أقرب إلى الله من العابد الذي يرى أنه لا ينال ما عند الله إلا بعمله.

الزهد في الرياسة

قال سفيان:

ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإذا نوزع في الرياسة، حامى عليها وعادى.

الخير أن لا يراك السلطان

قال سفيان:

لم أرَ للسلطان إلا مثلاً ضرب على لسان الثعلب.

قال: قال الثعلب: عرفت للكلب نيفاً وسبعين دستاناً[1]، ليس منها دستان خيراً من أن لا أرى الكلب ولا يراني.

---

(١) الدستان: كلمة فارسية معناها: المكر والحيلة.

قال سفيان: ليس للسلطان خير من أن لا يراك ولا تراه.

مراقبة القول

قال سفيان:

لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان، أكنتم تتكلمون بشيء؟

قالوا: لا.

قال: فإن معكم من يرفع الحديث[1].

القرب من المنبر

قال سفيان لرجل رآه قريباً من المنبر:

شغلتني يا فلان بقربك من المنبر، أما خفت أن يقولوا قولاً عجيباً، فيجب عليك رده؟

فقال الرجل: أليس يقال: ادن واستمع؟

قال: ذاك لأبي بكر وعمر والخلفاء، فأما هؤلاء فتباعد عنهم، حتى لا تسمع كلامهم، ولا ترى وجوههم.

---

(١) أراد الكتبة من الملائكة: الرقيب والعتيد.

القرب من الظلمة

قال سفيان:

إذا لم يكن لله في عبد حاجة، نبذه إليهم.

إعداد الكفن

قال سفيان:

من بلغ سنَّ النبي ﷺ فليرتد لنفسه كفناً.

أهل السنة غرباء

قال سفيان:

استوصوا بأهل السنة خيراً، فإنهم غرباء[١].

ثناء الجيران

قال سفيان:

إذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون، فهو رجل سوء، لأنه ربما رآهم يعصون فلا ينكر عليهم ويلقاهم ببشر[٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٨.

اتركوا لهم الدنيا

قال سفيان:

إن هؤلاء الملوك قد تركوا لكم الآخرة، فاتركوا لهم الدنيا[1].

لا خير في الجهل

عن حيدرة بن عبيد قال: كان سفيان الثوري إذا لقي شيخاً سأله: هل سمعت من العلم شيئاً؟ فإن قال: لا، قال:

لا جزاك الله عن الإسلام خيراً.

تقديم الضعفاء

قال قبيصة: ما رأيت الأغنياء أذل منهم في مجلس سفيان الثوري، ولا الفقراء أعز منهم في مجلسه.

وقال زيد بن الورقاء: كان سفيان يقول: تقدموا يا معشر الضعفاء.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٨.

وقال حماد بن دليل: ما كنا نأتي سفيان إلا في خلقان ثيابنا.

يؤخذ العلم شيئاً فشيئاً

قال سفيان:

يا هذا، تريد ما أخذتُه في أربعين سنة، أن تأخذه أنت في يوم واحد؟

قيمة العلم

قال وكيع: رأيت سفيان الثوري أملى على رجل شيئاً وقال:

هذا خير لك من ولايتك الري.

أئمة العدل

قال سفيان:

أئمة العدل خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز، رضي الله تعالى عنهم، من قال غير هذا فقد اعتدى.

اذكر الموت يهن عليك

كتب مبارك إلى أخيه سفيان، يشكو إليه ذهاب بصره. فكتب إليه:

يا أخي، فهمت كتابك تذكر فيه شكايتك ربك، اذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام.

دخول جحر

قال سفيان:

ما رأينا للإنسان شيئاً، خيراً له من أن يدخل جحراً.

قلّة أهل السنة والجماعة

قال سفيان:

إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة، فابعث إليه بالسلام، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب صاحب سنة، فابعث إليه بالسلام، فقد قلَّ أهل السنة والجماعة.

لا تنقل البدعة

قال سفيان:

من سمع بدعة، فلا يحكها لجلسائه، لا يلقيها في قلوبهم.

أمدبِّر أنت أم مدبَّر؟

عن محمود الدمشقي قال: جاء رجل إلى سفيان الثوري، فشكى إليه مصيبة أصابته، فقال له سفيان: ما كان بها أحد أهون عليك مني؟

قال: وكيف ذلك؟

قال: ما وجدت أحداً تشكو إليه غيري؟

قال: إنما أردت أن تدعوَ لي.

فقال له سفيان: أمدبِّر أنت أم مدبَّر؟

قال: بل مدبَّر.

قال: فارض بما يدبَّر لك.

نوع من الذل

قال سفيان:

ما وضع رجل يده في قصعة رجل إلا ذلَّ له.

كتبت حسناً

قال فرقد إمام مسجد البصرة: دخلوا على سفيان الثوري، في مرضه الذي مات فيه، فحدثه رجل بحديث فأعجبه، فضرب بيده إلى تحت فراشه، فأخرج

ألواحاً فكتب ذلك الحديث، فقالوا له: على هذه الحال منك؟

فقال: إنه حسن، إن بقيت فقد سمعت حسناً، وإن مت فقد كتبت حسناً.

الحاجة إلى العلم

قال سفيان:

الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز واللحم.

مجالس العلماء

قال أحمد بن عاصم: التقى سفيان الثوري وفضيل بن عياض، فتذاكرا فبكيا، فقال سفيان: إني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة.

فقال له فضيل: ترجو، لكني أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤماً، أليس نظرت إلى أحسن ما عندك، فتزينت به لي، وتزينت لك به؟

فبكى سفيان حتى علا نحيبه ثم قال: أحييتني أحياك الله.

زينة الضلالة

قال سفيان:

ليس من ضلالة إلا عليها زينة، فلا تعرضنَّ دينك لمن يبغضه إليك[1].

الدَّين

قال سفيان:

الدَّين همٌّ بالليل وذل بالنهار، فإذا أراد الله أن يذل عبداً جعله قلادةً في عنقه[2].

حيرة الأدلاء

قيل لسفيان الثوري: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت في دار حارت فيها الأدلاء[3].

سلاح المؤمن

قال سفيان:

---

(١) العقد الفريد ٢/٣٢٦.

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ١/٤١.

(٣) المرجع قبله ١/٤١.

المال سلاح المؤمن في هذا الزمن[1].

أحب ما أبغض الله

قال سفيان:

لو أن عبداً عبد الله تعالى بجميع المأمورات، إلا أنه يحب الدنيا، إلا نودي عليه يوم القيامة على رؤوس أهل الجمع: ألا إن هذا فلان ابن فلان قد أحب ما أبغض الله تعالى، فيكاد لحم وجهه يسقط من الخجل[2].

الحلال لا يحتمل السرف

قال سفيان:

الحلال في زماننا هذا لا يحتمل السرف[3].

حياة العلم

قال سفيان:

---

(١) البيان والتبيين ٣/ ١٩٧.

(٢) العقد الفريد ٢/ ١٩٦.

(٣) العقد الفريد ٢/ ٢٥٣.

حياة العلم بالسؤال عنه، والعمل به، وموته بتركهما[1].

شجرة الحنظل

قال سفيان:

إذا رأيتم طالب العلم يطلب الزيادة من العلم، دون العمل، فلا تعلموه، فإن من لم يعمل بعلمه كشجرة الحنظل، كلما ازداد ريّاً بالماء، ازداد مرارة.

وإذا رأيتموه يخلط في مطعمه ومشربه وملبسه، ونحو ذلك، ولا يتورع، فكفوا عن تعليمه تخفيفاً للحجة عليه غداً[2].

فصاروا وزراء

قال سفيان:

لقد أدركنا العلماء، وهم يرون جلوسهم في

---

(١) تنبيه المغترين للشعراني ص١٥.

(٢) المصدر قبله ص١٩.

بيوتهم أفضل، فصاروا اليوم وزراء الأمراء، وقهارمة الظلمة[1].

الذنوب نوعان

قال سفيان:

لأن تلقى الله تعالى بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد[2].

الاستعداد للموت

قال سفيان:

ما استعد للموت من ظن أنه يعيش غداً.

والطاعات تتفرع من ذكر الموت، والمعاصي تتفرع من نسيانه[3].

أبكاه علمه

قال سفيان:

من أبكاه علمه فهو العالم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) المصدر قبله ص٢٤.

(٢) المصدر قبله ص٣٣.

(٣) المصدر قبله ص٤٠.

أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[2][3].

خوف الفقر

قال سفيان:

إياكم وخوف الفقر، فإنه ليس للشيطان سلاح يقاتل به ابن آدم أشدَّ من خوفه الفقر، لأنه إذا خاف الفقر أخذ من الباطل، ومنع من الحق، وتكلم بالهوى، وظن بربِّه سوء الظن، فلقى كل سوء[4].

ذكر الصالحين

قال سفيان:

إذا ذكر الصالحون كنا عنهم بمعزل، وإذا ذكر الطالحون كنا في جوف المنزل[5].

---

(١) سورة الإسراء، الآية (١٠٧).

(٢) سورة مريم، الآية (٥٨).

(٣) تنبيه المغترين للشعراني ص٩٦.

(٤) المصدر قبله ص١٠٣.

(٥) المصدر قبله ص١٠٥.

الغش في الخِطبة

قال سفيان:

من خطب امرأة، وهو يعلم من نفسه سوء الخُلُق، فليعلمها بذلك، وإلا غشها[1].

الزهد والتواضع

قال سفيان:

الزاهد بغير تواضع، كالشجرة التي لا تثمر، ومن لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره[2].

الهرب من العجب

كان سفيان ـ رحمه الله تعالى ـ يقول: إذا رأى حلقة درسه قد كبرت، قام عجلاً مرعوباً وقال: أُخِذنا ـ والله ـ ولم نشعر.

قال: فتبعه الناس يوماً وقالوا له: مثلك لا يخاف من ذلك!!

فقال: بلى، أنا أخوف الناس من ذلك، لما

---

(١) المصدر قبله ص١٣٥.

(٢) المصدر قبله ص١٥٧.

أعرفه من دناءة أخلاقي، ووالله لو رآني عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالساً في مثل هذا المجلس، لضربني بالدرة وأقامني، وقال لي: أنت لا تصلح لمثل ذلك[١].

المعاش والمعاد

قال سفيان:

حفظك لما في يدك لتقضي به حاجتك، أولى من تصدقك به، وطلبك لما في يد غيرك، فإن العبد لا يزال بخير ما حفظ خصلتين: درهمه لمعاشه، ودينه لمعاده[٢].

خجل

قال الفضيل:

حج سفيان الثوري رحمه الله تعالى ماشياً من البصرة، فقيل له: أما لك ظهر تركبه؟

فقال: أما يرضى العبد الآبق أن يأتي إلى

---

(١) تنبيه المغترين ص١٦٥.

(٢) تنبيه المغترين ص١٩٤.

مصالحة سيده إلا راكباً؟ والله إني لفي غاية الخجل من مجيئي إلى تلك الأرض[1].

موعظة جامعة

قال مبارك أبو حماد: سمعت سفيان يقول فيما أوصى به علي بن الحسن السليمي:

عليك بالصدق في المواطن كلها، وإياك والكذب والخيانة ومجالسة أصحابها، فإنها وزر كله.

وإياك يا أخي والرياء في القول والعمل، فإنه شرك بعينه.

وإياك والعجب، فإن العمل الصالح لا يرفع وفيه عجب.

ولا تأخذن دينك إلا ممن هو مشفق على دينه، فإن مثل الذي هو غير مشفق على دينه، كمثل طبيب به داء لا يستطيع أن يعالج داء نفسه، وينصح لنفسه، كيف يعالج داء الناس وينصح لهم؟ فهذا الذي لا يشفق على دينه، كيف يشفق على دينك؟

---

(١) المرجع قبله ص١٨٦.

ويا أخي، إنما دينك لحمك ودمك، ابكِ على نفسك وارحمها، فإن أنت لم ترحمها لم ترحم.

وليكن جليسك من يزهدك في الدنيا، ويرغبك في الآخرة، وإياك ومجالسة أهل الدنيا الذين يخوضون في حديث الدنيا، فإنهم يفسدون عليك دينك وقلبك.

وأكثر ذكر الموت، وأكثر الاستغفار مما قد سلف من ذنوبك، وسل الله السلامة لما بقي من عمرك.

ثم عليك ـ يا أخي ـ بأدب حسن، وخلق حسن، ولا تخالفن الجماعة، فإن الخير فيها، إلا من هو مكب على الدنيا، كالذي يعمر بيتاً ويخرب آخر.

وانصح لكل مؤمن إذا سألك في أمر دينه، ولا تكتمن أحداً من النصيحة شيئاً، إذا شاورك فيما كان لله فيه رضى.

وإياك أن تخون مؤمناً، فمن خان مؤمناً فقد خان الله ورسوله.

وإذا أحببت أخاك في الله، فابذل له نفسك ومالك.

وإياك والخصومات والجدال والمراء، فإنك تصير ظلوماً خواناً أثيماً.

وعليك بالصبر في المواطن كلها، فإن الصبر يجر إلى البرِّ، والبر يجر إلى الجنة، وإياك والحدة والغضب، فإنهما يجران إلى الفجور، والفجور يجر إلى النار.

ولا تمارينَّ عالماً فيمقتك، وإن الاختلاف إلى العلماء رحمة، والانقطاع عنهم سخط الرحمن، وإن العلماء خزان الأنبياء، وأصحاب مواريثهم.

وعليك بالزهد، يبصرك الله عورات الدنيا.

وعليك بالورع، يخفف الله حسابك، ودع كثيراً مما يريبك إلى ما لا يريبك تكن سليماً، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك.

وأْمر بالمعروف، وأنْهَ عن المنكر تكن حبيب الله.

وأبغض الفاسقين تطرد به الشياطين.

وأقلَّ الفرح والضحك بما تصيب من الدنيا، تزدد قوة عند الله. واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك.

وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك. وابك على خطيئتك تكن من أهل الرفيق الأعلى، ولا تكن غافلاً، فإنه ليس يغفل عنك.

وإن لله عليك حقوقاً وشروطاً كثيرة، وينبغي لك أن تؤديها، ولا تكونن غافلاً عنها، فإنه ليس يغفل عنك، وأنت محاسب بها يوم القيامة.

وإذا أردت أمراً من أمور الدنيا، فعليك بالتؤدة، فإن رأيته موافقاً لأمر آخرتك فخذه، وإلا فقف عنه حتى تنظر إلى من أخذه، كيف عمله فيها وكيف نجا منها؟ واسأل الله العافية.

وإذا هممت بأمر من أمور الآخرة، فشمر إليها، وأسرع من قبل أن يحول بينها وبينك الشيطان.

ولا تكونن أكولاً، لا تعمل بقدر ما تأكل، فإنه يكره ذلك، ولا تأكل بغير نية، ولا بغير شهوة، ولا تحشونَّ بطنك فتقع جيفة لا تذكر الله.

وأكثر من الهم والحزن، فإن أكثر ما يجد المؤمن في كتابه من الحسنات: الهم والحزن.

وإياك والطمع فيما في أيدي الناس، فإن الطمع

هلاك الدين، وإياك والرغبة، فإن الرغبة تقسي القلب، وإياك والحرص على الدنيا، فإن الحرص مما يفضح الناس يوم القيامة.

وكن طاهر القلب، نقي الجسد من الذنوب والخطايا، نقي اليدين من المظالم، سليم القلب من الغش والمكر والخيانة، خالي البطن من الحرام، فإنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت.

كفَّ بصرك عن الناس، ولا تمشين بغير حاجة، ولا تكلمنَّ بغير حكم، ولا تبطش بيدك إلى ما ليس لك.

وكن خائفاً حزيناً لما بقي من عمرك، لا تدري ما يحدث فيه من أمر دينك.

وإياك أن تلي نفسك من الأمانة شيئاً، وكيف تليها وقد سماك الله ظلوماً جهولاً؟ أبوك آدم لم يبق فيها، ولم يستكمل يوم حملها حتى وقع في الخطيئة. أقلَّ العثرة، واقبل المعذرة، واغفر الذنب، كن ممن يرجى خيره ويؤمن شره.

لا تبغض أحداً ممن يطيع الله، كن رحيماً للعامة

والخاصة، ولا تقطع رحمك، وصل من قطعك، وصل رحمك وإن قطعك، وتجاوز عمن ظلمك، تكن رفيق الأنبياء والشهداء.

وأقلَّ دخول السوق، فإنهم ذئاب عليهم ثياب، وفيها مردة الشياطين من الجن والإنس، وإذا دخلتها فقد لزمك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنك لا ترى فيها إلا منكراً، فقم على طرفها فقل: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فقد بلغنا أنه يكتب لقائلها بكل من في السوق، عجمي أو فصيح عشر حسنات. ولا تجلس فيها، واقض حاجتك وأنت قائم يسلم لك دينك.

وإياك أن يفارقك الدرهم، فإنه أتم لعقلك، ولا تمنعن نفسك من الحلاوة فإنه يزيد في الحلم، وعليك باللحم، ولا تدم عليه ولا تدعه أربعين يوماً، فإنه يسيء خلقك، ولا تردَّ الطيب، فإنه يزيد في الدماغ، وعليك بالعدس فإنه يفرز الدموع ويُرِّق القلب.

وعليك باللباس الخشن تجد حلاوة الإيمان.

وعليك بقلة الأكل تملك سهر الليل، وعليك بالصوم فإنه يسد عنك باب الفجور، ويفتح عليك باب العبادة.

وعليك بقلّة الكلام يلين قلبك، وعليك بطول الصمت تملك الورع.

ولا تكوننَّ حريصاً على الدنيا، ولا تكن حاسداً تكن سريع الفهم، ولا تكن طعاناً تنج من ألسن الناس، وكن رحيماً محبباً إلى الناس.

وارض بما قسم الله لك من الرزق تكن غنياً، وتوكل على الله تكن قوياً، ولا تنازع أهل الدنيا في دنياهم يحبك الله ويحبك أهل الأرض. وكن متواضعاً تستكمل أعمال البر.

اعمل بالعافية تأتك العافية من فوقك، كن عفواً تظفر بحاجتك، كن رحيماً يترحم عليك كل شيء.

يا أخي، لا تدع أيامك ولياليك وساعاتك تمر عليك باطلاً، وقدم من نفسك لنفسك ليوم العطش، يا أخي، فإنك لا تروى يوم القيامة إلا بالرضى من الرحمن، ولا تدرك رضوانه إلا بطاعتك.

وأكثر من النوافل تقربك إلى الله.

وعليك بالسخاء تستر العورات، ويخفف الله عليك الحساب والأهوال.

وعليك بكثرة المعروف، يؤنسك الله في قبرك، واجتنب المحارم كلها تجد حلاوة الإيمان.

جالس أهل الورع وأهل التقى، يصلح الله أمر دينك، وشاور في أمر دينك الذين يخشون الله.

وسارع في الخيرات يحول الله بينك وبين معصيتك.

وعليك بكثرة ذكر الله، يزهدك في الدنيا.

وعليك بذكر الموت يهون الله عليك أمر الدنيا.

واشتق إلى الجنة يوفق الله لك الطاعة، وأشفق من النار يهون الله عليك المصائب.

أحب أهل الجنة تكن معهم يوم القيامة، وأبغض أهل المعاصي يحبك الله، والمؤمنون شهود الله في الأرض، ولا تسبن أحداً من المؤمنين، ولا تحقرن شيئاً من المعروف، ولا تنازع أهل الدنيا في دنياهم.

وانظر ـ يا أخي ـ أن يكون أول أمرك تقوى الله في السر والعلانية، واخشَ الله خشية من قد علم أنه

ميت ومبعوث، ثم الحشر ثم الوقوف بين يدي الجبار عز وجل، وتحاسب بعملك، ثم المصير إلى إحدى الدارين، إما جنة ناعمة خالدة، وإما نار فيها ألوان العذاب مع خلود لا موت فيه.

وارج رجاء من علم أنه يعفو أو يعاقب. وبالله التوفيق لا رب غيره.

كتب للمؤلف

١ ـ الجامع بين الصحيحين (٤ مجلدات).
٢ ـ زوائد السنن على الصحيحين (٦ مجلدات).
٣ ـ من معين السيرة.
٤ ـ من معين الشمائل.
٥ ـ السيرة النبوية (تربية أمة وبناء دولة).
٦ ـ أضواء على دراسة السيرة.
٧ ـ هكذا فهم السلف.
٨ ـ أهل الصفة (بعيداً عن الوهم والخيال).
٩ ـ الإمام الغزالي (سلسلة أعلام المسلمين).
١٠ ـ الفرائض فقهاً وحساباً (في جزأين).
١١ ـ الفن الإسلامي (التزام وإبداع).
١٢ ـ دراسة جمالية في ثلاثة أجزاء:
أ ـ الظاهرة الجمالية في الإسلام.
ب ـ ميادين الجمال.
ج ـ التربية الجمالية في الإسلام.
١٣ ـ تحقيق الجمع بين الصحيحين للموصلي (في مجلدين).
١٤ ـ تحقيق المواهب اللدنية للقسطلاني (٤ مجلدات).
١٥ ـ تحقيق رسالة شرح المعرفة للمحاسبي.
١٦ ـ المهذب من إحياء علوم الدين (في مجلدين).
١٧ ـ تقريب «طريق الهجرتين» لابن القيم.

المُحْتَوى

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
سفيان الثوري	٥
ما قيل فيه وما قيل عنه	٢٥
محاور الوعظ عند سفيان	٢٨
المواعظ	٤٥
السنن والفرائض	٤٧
الدنيا والآخرة	٤٩
ضالة لا توجد	٥٠
ذكر وشكر	٥٠
مراقبة الله	٥٠
موت القلوب	٥٠
أكلوا حسناته	٥١
راقب الله	٥١
العالم والأبواب	٥٣
النظر إلى السلطان	٥٣
الفقراء والأغنياء	٥٤
العزلة	٥٤
تقويم النفس	٥٥
اعملوا ولا تكونوا عالة	٥٥
لا تسأل	٥٦
غايتان لا تدركان	٥٦
الزهد في الدنيا والمنزلة	٥٧
رسالة إلى عباد	٥٧
صفات الآمر بالمعروف للسلطان	٥٩
قد تتأخر النية	٥٩
لا يعترض على اجتهاد باجتهاد	٥٩
غنى العالم	٥٩
العلم يزداد	٦٠
العلم خشية	٦٠
التفرغ للعلم	٦٠
بلد يموت فيه العلم	٦١
القصاص	٦١

الموضوع	الصفحة
هتاف العلم	٦١
فتنة الحديث	٦٢
النظر إلى المسرفين ..	٦٢
الزهد والمال	٦٣
الزهد بالناس	٦٣
الزهد والقراءة	٦٣
آثار الزهد	٦٣
احذر سخط الله	٦٤
المال	٦٤
الصحبة إلى الحج ...	٦٥
الزهد زهدان	٦٦
زينة العلم	٦٦
العلماء أطباء	٦٧
يطلب العلم للتقوى ..	٦٧
أول العلم وغايته	٦٧
المثابرة على طلب العلم	٦٨
فضل العلم	٦٨
الإجبار على التعلم ..	٦٨
طلب الحديث	٦٨
فتنة الحديث	٦٨
العلم حجة على العالم	٦٩
الرخصة والشدة	٦٩
العلم هو الآثار	٦٩
إكرام طلبة العلم	٧٠
أهل الشهوات	٧٠
الإسلام	٧٤
سلامة الصدر	٧٤
السريرة	٧٥
الإيمان	٧٥
الصف الأخير	٧٥
التمني	٧٦
فضول الدنيا	٧٦
التقوى ملاك الأمر ..	٧٦
سكرة الموت	٧٧
فجار القراء	٧٧
العالم طبيب	٧٧
بناء حول الكعبة	٧٨
تزويق الأبنية	٧٨
البكاء أنواع	٧٨
اليقين	٧٨
النظر في المصحف ..	٧٩
ذو العيال	٧٩
فكيف بعيالي	٧٩
العيال والحاجة	٨٠
مساوئ المال	٨١
ثلاثة من الصبر	٨١

الموضوع	الصفحة
الحض على الكسب ..	٨٢
هكذا كانوا	٨٤
أدب الضيافة	٨٤
الهرب من الشهرة ...	٨٥
إلى حيث تقلّ النفقة ..	٨٥
موعظة موجزة	٨٦
قلة أهل المعروف ...	٨٦
اختبار الأصدقاء	٨٧
لا حول ولا قوة إلا بالله	٨٧
كم مؤمن مات غيظاً ..	٨٧
حساب النفس	٨٨
ظهر الفساد	٩٠
النعم المغضوب عليها	٩٠
للدنيا وللآخرة	٩١
خير دنياكم	٩١
غفران الذنوب	٩٢
معرفة الناس	٩٢
اعرف نفسك	٩٢
أقبل على نفسك	٩٣
الصمت	٩٣
لا يخدمه أحد	٩٣
ترك الذنوب دعاء	٩٣
مكافأة المعروف	٩٤

الموضوع	الصفحة
الدعاء بالستر	٩٤
وصيته لعلي بن الحسن	٩٤
ولاية القضاء	٩٧
شفاعة إلى الوالي ...	٩٧
ضحك القاضي	٩٨
اختيار الفقراء واختيار الأغنياء	٩٨
العالم الزاهد	٩٩
اللباس المناسب	٩٩
الحب	٩٩
تعلم النية	١٠٠
طاعة الوالدين	١٠٠
لو كانت على الطريق	١٠٠
النظر إلى الظلمة	١٠٠
لا يستضاء بنارهم ...	١٠١
دعه نائماً	١٠١
الثوري والأوزاعي ...	١٠٢
سفيان والحكام	١٠٣
رسالة في الوعظ	١٠٤
الظن	١٠٦
رخص الأسعار	١٠٦
بصر العين وبصر القلب	١٠٧
فقد الثقة	١٠٧

الموضوع	الصفحة
الصمت ستر الجاهل .	١٠٧
صدق المحبة	١٠٨
عليك بثلاثة	١٠٨
افتضحوا فاصطلحوا ..	١٠٨
ذكر الأموات	١٠٩
الزاجر	١٠٩
الدنيا والحزن	١٠٩
قدر الدنيا	١١٠
إياك والشهرة	١١٠
المعصية والبدعة	١١٠
ذكر المناقب	١١٠
التزام السنة	١١١
الحب في الله	١١١
العلم للعمل	١١١
القصد في المعيشة ...	١١٢
العبادة ببغداد	١١٢
يصلي وحده	١١٢
ذهب أهل الورع	١١٣
المدين لا يأكل اللحم	١١٣
تعجلوا بركة العلم ...	١١٣
الحرص على الإمامة .	١١٤
لو أن البهائم	١١٤
يقاس الشيخ بالشرع ..	١١٥

الموضوع	الصفحة
قراء الشيطان	١١٥
اليقين	١١٥
ترك الحلال	١١٥
شدة الخوف	١١٥
حسن الأدب	١١٦
لا يعاب العلم	١١٦
نصيب الشيطان من العلم	١١٦
سمت العالم	١١٧
حملة العلم	١١٧
الدعاء للظالم	١١٨
الانتباه عند الموت ..	١١٨
مثل الدنيا	١١٨
التوكل	١١٨
بسط الدنيا	١١٩
العزلة آخر الزمان ...	١١٩
انظر من أين؟	١١٩
إياكم والبطنة	١٢٠
علامة حب الدنيا ...	١٢٠
حب الدنيا والخشية ..	١٢٠
الفاجر الراجي	١٢١
الزهد في الرياسة ...	١٢١
لا يراك السلطان	١٢١
مراقبة القول	١٢٢

الموضوع	الصفحة
القرب من المنبر	١٢٢
القرب من الظلمة	١٢٣
إعداد الكفن	١٢٣
أهل السنَّة غرباء	١٢٣
ثناء الجيران	١٢٣
اتركوا لهم الدنيا	١٢٤
لا خير في الجهل ...	١٢٤
تقديم الضعفاء	١٢٤
يؤخذ العلم شيئاً فشيئاً	١٢٥
قيمة العلم	١٢٥
أئمة العدل	١٢٥
اذكر الموت	١٢٥
دخول جحر	١٢٦
قلَّة أهل السنَّة	١٢٦
لا تنقل البدعة	١٢٦
مدبِّر أم مدبَّر؟	١٢٧
نوع من الذل	١٢٧
كتبت حسناً	١٢٧
الحاجة إلى العلم	١٢٨
مجالس العلماء	١٢٨
زينة الضلالة	١٢٩
الدَّيْن	١٢٩
حيرة الأدلاء	١٢٩

الموضوع	الصفحة
سلاح المؤمن	١٣٠
أحب ما أبغض الله ..	١٣٠
الحلال لا يحتمل السرف	١٣٠
حياة العلم	١٣١
شجرة الحنظل	١٣١
فصاروا وزراء	١٣١
الذنوب نوعان	١٣٢
الاستعداد للموت ...	١٣٢
أبكاه علمه	١٣٢
خوف الفقر	١٣٣
ذكر الصالحين	١٣٣
الغش في الخطبة ...	١٣٤
الزهد والتواضع	١٣٤
الهرب من العجب ..	١٣٤
المعاش والمعاد	١٣٥
خجل	١٣٥
موعظة جامعة	١٣٦
كتب للمؤلف	١٤٥
المحتوى	١٤٧